**قراءة جديدة لموقعة الزلاقة**

**د. معزز اسكندر الحديثي**

**بغداد**

**1433هـ /2012م**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**المقدمة :**

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه والصلاة والسلام على خير الانام وعلى آله وصحبه ومن والاه واتبع هداه الى يوم الدين ، وبعد:

منذ ان سقطت الخلافة الأموية في الأندلس حتى دخل مسلمو الاندلس في عنق زجاجة ، الا وهو عهد ملوك الطوائف، عندما تحولت كل مدينة الى مملكة على رأسها ملك لا يرعى في رعاياه إلاً ولا ذمة، وانشغلوا بامرين: الاول اشباع رغباتهم وشهواتهم على حساب الافواه الجائعة ، والثاني: الاقتتال فيما بينهم من اجل اضافة سهل أو جبل أو أراضي جديدة على حساب جاره المسلم.

جميع ملوك الاندلس يؤدون الجزية الى الاذفونش ملك النصارى الافرنج، والادهى من ذلك وامر فان بعضهم يستعين بالنصارى لقتال اخيه المسلم ، المسلمون في الاندلس يتفرقون ويقتتلون فيما بينهم والنصارى الافرنج يتوحدون ويزدادون قوة ، ومن هنا انبثقت الفكرة الصليبية لاول مرة عندما بدأ استنفار الجيوش على اساس ديني وحملوا صلبانهم ونشروا اناجيلهم وارتدى ملكهم شارة الصليب لاول مرة انها صليبية بامتياز ، ولما اخذوا مملكة طليطلة من المسلمين عندها دق ناقوس الخطر في اذن المعتمد بن عباد ملك اشبيلية فاستنجد بامير المسلمين يوسف بن تاشفين ليعبر اليهم ويخلصهم من خطر الاذفونش، وكان له ما اراد ، فكانت موقعة الزلاقة التي تعد بانها اعظم معارك المسلمين في الاندلس والتي دفعت خطر الصليبين اربعة قرون حتى تمكنوا من احتلال الاندلس في سنة 897هـ /1492م .

تناولت اغلب روايات المؤرخين عن هذه الموقعة، درستها وحللتها وعلقت على ما رأيته مناسباً ، انها قراءة جديدة لهذه الموقعة فان وفقت فيها فمن الله وحده وان جانبت الصواب فمني ومن الشيطان، واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

**نشأة المرابطين**

المرابطون من قبيلة لمتونة، ولمتونة بطن من بطون صنهاجة اكبر واعظم القبائل البربرية وهي فرع من فروع قبيلة البرانس الكبرى،وصنهاجة من حمير وفي ذلك يقول الشاعر ابو فارس عبد العزيز الملزوزي في ارجوزته المسماة نظم السلوك في الانبياء والخلفاء والملوك:

مرابطون اصلهم من حمير قد بعدت انسابهم عن مضر

كانوا ملوكاً في الزمان الاول وامرهم وحالهم لم يجهل

با صنهاج سليل حمير وهو ابنه لصلبه لا العنصر

وينتمي الى صنهاجة عدا لمتونة عدد كبير من القبائل البربرية مثل مسوفة ومسراته ومداسة وكدالة(جدالة) ووتريكة ولمطة وغيرها([[1]](#footnote-1)).

وقد لعبت بعض هذه القبائل في تاريخ المغرب ادواراً ملحوظة، وكان شعار لمتونة "اللثام" لذلك عرفوا بالملثمين وفي سبب تسميتهم بالملثمين اراء عدة، منها انهم كانوا يتلثمون في الصحراء من الحر والبرد كما يفعل العرب([[2]](#footnote-2)).

منها انهم كانوا يتخذون في اعراسهم نوعاً خاصاً من الحجاب، ومنها ايضاً : انه حدث ذات مرة في بعض حروبهم ان نساءهم كن يقاتلن معهم محجبات حتى يحسبن بذلك في اعداد الرجال، ومنها ايضاً: انهم كانوا يقلدون في ذلك قبيلة حمير التي يدعون الانتساب اليها([[3]](#footnote-3)).

لكن البعض قالوا ان جميع قبائل الصحراء يلتزمون النقاب وهو فوق اللثام حتى لا يبدو منه الا محاجر العينين ولا يفارقون ذلك في حال من الاحوال ولا يميز رجل من وليه ولا حميمه الا اذا تنقب وكذلك في المعارك اذا قتل منهم قتيل ونزل عنه لثامه لم يعلم من هو حتى يعاد عليه اللثام وصار ذلك لهم الزم من جلودهم([[4]](#footnote-4)).

ذهب معظم المؤرخين واصحاب كتب الانساب الى ان صنهاجة من حمير ابتداءً من ابن سعد (ت230هـ) صاحب الطبقات الكبرى الى ابن خلدون (ت808هـ) على سبيل المثال لا الحصر، والعرب تعتز بانسابها وتفاخر بها ولهذا نرى شاعر المرابطين أبو فارس عبد العزيز الملزوزي السالف الذكر يذكر ذلك ويتغنى به: مرابطون اصلهم من حمير ......... قد بعدت انسابهم عن مضر، اما موضوع اللثام الذي غلب على المرابطين حتى سموا بالملثمين فقد تعددت فيه الاراء، ونرى ان ماذهب اليه ابن الاثير( ت630هـ) على ان اللثام عادة من عادات العرب في الصحراء ليتقوا الحر والبرد هو اقرب الاراء الذي يمكن ان نسلم به، لان اللثام الذي استخدم في حالة من الحالات التي ذكرها المؤرخون لا يمكن ان ينعكس على جماعة فيسموا بالملثمين.

وظلت لمتونة على حالها كسائر القبائل البربرية حتى تولى رئاستها يحيى بن ابراهيم الكدالي الذي رحل الى المشرق مع طائفة من زعماء قومه ليقضي فريضة الحج فرأى ما كان عليه قومه من التأخر والجهل بتعاليم الاسلام فواصل طلبه للعلم في المشرق ولما عاد عرج في طريقه على مدينة القيروان حيث التقى بالفقيه ابي عمران الفاسي([[5]](#footnote-5))شيخ المذهب المالكي يومئذ وتأثر بوعظه وعلمه وشكى اليه الامير يحيى من جهل قومه وطلب اليه ان يختار له فقيهاً من تلاميذه يتولى تعليم قومه وتثقيفهم بتعاليم الاسلام الصحيحة فاستجاب للدعوة رجل يدعى عبد الله بن ياسين الجزولي([[6]](#footnote-6)) وكان نبهاً عالماً ورعاً وكان قد رحل الى الاندلس وانفق بضع سنين يدرس في ظل الطوائف فزاد علماً وتجربة فسار مع يحيى بن ايراهيم الكدالي الى الصحراء فاغتبطت بمقدمه لمتونة وكدالة واستقبلوه بمنتهى الحفاوة والتكريم([[7]](#footnote-7)).

قبائل البربرولمتونة منهم كانت تدين بالمجوسية وبعد الفتح الاسلامي لبلاد افريقيا والاندلس انتشر الاسلام بينهم، لكن هؤلاء البدو ما لبثوا ان ابتعدوا عن تعاليم الدين الصحيحة فكثرت بينهم الخرافات وانتشرت البدع والضلالات وشاع بينهم المنكرات حتى اصبح الزواج باكثر من اربع زوجات شائعاً ومعروفاً بينهم.

لذلك لما تولى يحيى بن ابراهيم الكدالي رئاسة لمتونة ـ وكدالة شقيقة لمتونة يجمعهما اب واحد ـ وكان فاضلاً ورعاً متديناً رأى ما كان عليه قومه من التأخر والجهل باحكام الاسلام فأثرت في نفسه اثراً كبيراً فعزم على الرحيل الى بلاد المشرق الاسلامي ليؤدي فريضة الحج اولاً ومن ثم يطلب العلم الشرعي، وفعلاً كان له ما اراد وذكر بعض المؤرخين انه في طلبه للعلم وصل الى بغداد ودرس عند بعض مشايخها.

وعاد من بلاد المشرق وهو يمتلأ رغبةً جامحة وافقاً لا يحد لنشر الدعوة الاسلامية في بلاد المغرب واعادة بني قومه الى جادة الاسلام الصحيح لذلك نرى انه عرج في طريق عودته الى مدينة القيروان والتقى بالفقيه ابي عمران الفاسي ليطلب منه العون والمساعدة في تحقيق امله ويرسل معه احد تلاميذه، وقيض الله عز وجل له رجلاً يدعى عبد الله بن ياسين الجزولي لتلك المهمة الصعبة ليكون المرشد الروحي له ولاصحاب دعوته.

وكان عبد الله بن ياسين فقيهاً شديد الورع والغيرة على تعاليم الاسلام وكان فضلاً عن ذلك خطيباً مفوهاً مؤثراً بالاخرين فأخذ ينشر تعاليم الدين بين اولئك البدو الصحراويين عندها اخذ الناس ينصرفون عنه ويعرضون عن تعاليمه لما رأوا من صرامته عندها قرر عبد الله ابن ياسين وتلميذه وصديقه الوفي يحيى بن ابراهيم الكدالي على انتباذ اولئك البدو الجهلة والانقطاع الى العبادة والزهد في احد المواضع النائية وانضم اليه سبعة نفر من كدالة ومن رؤساء لمتونة وانقطعوا للعبادة في هذا الموضع، وما لبث ان اشتهر امره ووفد عليه كثير من اشراف صنهاجة ممن آثروا الزهد والعبادة فعكف عبد الله بن ياسين على تثقيفهم ووعظهم وسماهم" بالمرابطين" للزومهم رابطته وأخذ يعلمهم الكتاب والسنة والصلاة والزكاة ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويشوقهم الى الجنة ويحذرهم عذاب النار ويلهب حماستهم للجهاد في سبيل ذلك وكان عبد الله بن ياسين يضطرم في اعماق نفسه بطموح لا يحد غير تلقين احكام الدين وبث الورع والخشوع في نفوس اصحابه ، فلما تجاوز مريديه الالف شخص دعاهم للجهاد بصورة عملية وبعثهم الى اقوامهم([[8]](#footnote-8)).

يبدو ان عبد الله بن ياسين الجزولي كان شديداً صارماً حازماً لا يخشى في الله لومة لائم وهؤلاء البدو الذين كانوا غارقين في الجهل والضلالة والتأخر لم ترق لهم اراء ابن ياسين بالعودة الى ينابيع الدين الصحيح فانصرفوا عنه مما اثر ذلك في الشيخ تأثيراً كبيراً دعاه الى ان يجمع مريديه ويرحل بهم الى منطقة نائية ليعلمهم احكام الاسلام وابتنوا رابطة للعبادة والصلاة وبذلك يكون الدافع الاساسي لانعزال الشيخ عبدالله بن ياسين وصحبه هو انصراف قومه عنه، وحقاً كما قالت العرب: رب ضارة نافعة، فبانعزال المرابطين عن الناس اختطوا لانفسهم منهاجهم الذي شيدوا به جذور دولتهم القادمة.

لما تولى أبو بكر بن عمر اللمتوني([[9]](#footnote-9))قيادة المرابطين في سنة سبع واربعين واربعمائة وجه جيشاً لغزو بلاد السوس وجعل على قيادة الجيش ابن عمه يوسف بن تاشفين([[10]](#footnote-10))،([[11]](#footnote-11))، وفي ذلك يقول محمد عبد الله عنان:" ونستطيع ان نقول انه بوفاة عبد الله بن ياسين وقيام ابي بكر اللمتوني مكانه في الرياسة تبدأ الدولة اللمتونية أو الدولة المرابطية"([[12]](#footnote-12)).

ولما وقع الخلاف بين لمتونة ومسوفة خشى ابوبكر اللمتوني ان يتفاقم الامر هناك بين القبائل الشقيقة وقد كانت الصحراء منبع امرهم ومطلع سلطانهم فقرر ان يعود الى قومه ليجبر الصدع ويوحد الكلمة فوكل شؤون المغرب لابن عمه يوسف بن تاشفين ووافق اشياخ المرابطين على هذا الاختيار وقسمت القوات المرابطية عندئذ الى جيشين تولى يوسف امرة احدهما ليتم به اخضاع المغرب وتولى أبو بكر امرة الاخر، وفي تلك الاثناء كان يوسف ابن تاشفين يؤدي مهمته العظيمة في افتتاح باقي اقطار المغرب فبدأ بذلك بأن قسم الجيش المرابطي وقد بلغ يومئذ اربعين الف مقاتل الى اربعة اقسام اختار لها اربعة من اقدر قواده واخذت تلك الجيوش المرابطية في محاربة القبائل الخصيمة ولم تمض بضعة شهور حتى كان يوسف بن تاشفين قد غلب على معظم نواحي المغرب الجنوبية والوسطى وما كاد يوسف ينتهي من انشاء حاضرته وتنظيم جيشه حتى تأهب لفتح مدينة فاس عاصمة المغرب القديمة واعظم مدائنه يومئذ وكانت الجيوش المرابطية قد تضخمت في تلك الاثناء وعنى يوسف بن تاشفين بتنظيمها وتجهيزها بالرماة والعدة والبنود والطبول ويقال انها بلغت يومئذ اكثر من مائة الف فارس من قبائل صنهاجة وجزولة وزناته والمصامدة([[13]](#footnote-13)).

وبعد ان نظم ابو بكر اللمتوني شؤون الصحراء وقضى في غزواته بضعة اعوام نمى اليه ما وفق اليه ابن عمه يوسف بن تاشفين من الفتوح العظيمة ومن ضخامة سلطانه واستقراره فقرر ان يعود الى المغرب ليسترد سلطانه باعتباره امير المرابطين الشرعي فعاد الى المغرب في سنة خمس وستين واربعمائة ونزل بمحلته خارج مدينة اغمات فهرع صحبه الى مدينة مراكش العاصمة الجديدة لرؤيتها والسلام على يوسف بن تاشفين، وادرك ابو بكر مبلغ ما انتهى اليه يوسف من القوة والنفوذ والاستقرار وانه لم يبق له امل في انتزاع شيء مما في يده([[14]](#footnote-14)).

هكذا قامت الدولة المرابطية الكبرى بفضل وجهود وعبقرية يوسف بن تاشفين.

لم تكن الاسباب التي ذكرها المؤرخون مقنعة حول رحيل الامير ابا بكر اللمتوني عن المغرب والاتجاه الى الصحراء ليصلح بين لمتونة ومسوفة، ايمكن ان يترك امير امارته وفخر جيوشه وسلطانه ليتجه الى الصحراء للاصلاح بين القبائل المتخاصمة ؟ الا يمكن ان ينيب قائداً من قواده لهذه المهمة ، وهل تحتاج هذه المهمة سوى اسابيع أو اشهر؟ ولكن ان تستمر بضعة اعوام هذا ما يدعونا الى التساؤل ولا يمكننا التسليم به.

وذكر المؤرخون ان الامير ابا بكر اللمتوني طلق زوجته الحسناء زينب بنت اسحاق النفزاوية حتى لا تشاطره خشونة الصحراء، ايعقل ان بربري صحراوي يسلك هذا السلوك وبهذا الاحساس المرهف يطلق زوجته ثم يتزوجها فيما بعد يوسف بن تاشفين ومع انني لم اقف على السبب الحقيقي وراء هجرة الامير ابا بكر اللمتوني الى الصحراء وتركه لملكه وسلطانه الا انني اؤكد ان اسباب مجهولة لم يقف عليها المؤرخون وراء ذلك ، وقد يكون احد تلك الاسباب هو تعاظم دور يوسف بن تاشفين وحنكته السياسية واخضاعه لاغلب بلدان المغرب لسيطرته جعلته في قمة القيادة فلما رأى ذلك ابو بكر اللمتوني رضخ للواقع المر وعاد من حيث أتى.

**كتاب اهل الاندلس الى يوسف بن تاشفين**

لما ملك امير المسلمين يوسف بن تاشفين المغرب بنى مدينتي تلمسان ومراكش الجديدة واطاعته البربر مع شكيمتها الشديدة وتمهدت له الاقطار الطويلة المديدة تاقت نفسه الى العبور الى جزيرة الاندلس فهم بذلك وأخذ في انشاء المراكب والسفن ليعبر فيها فلما علم بذلك ملوك الاندلس كرهوا المامه بجزيرتهم وأعدوا له العدة والعدد وصعبت عليهم موافقته وكرهوا ان يكونوا بين عدوين الافرنج من شمالهم والمسلمين من جنوبهم ، وكانت الافرنج تشتد وطأتها عليهم وتغير وتنهب وربما يقع بينهم صلح على شئ معلوم كل سنة يأخذونه من المسلمين ، والافرنج ترهب ملك المغرب يوسف بن تاشفين اذ كان له اسم كبير وصيت عظيم لنفاذ امره وسرعة تملكه بلاد المغرب وكان ملوك الاندلس يفيئون الى ظله ويحذرونه خوفاً على ملكهم فلما رأوا ما دلهم الى عبوره اليهم وعلموا بذلك راسل بعضهم بعضاً يستجدون اراءهم في امره وكان مفزعهم في ذلك الى المعتمد بن عباد لأنه اشجع القوم واكبرهم مملكة فوقع اتفاقهم على مكاتبته لما تحققوا انه يقصدهم يسألونه الاعراض عنهم وانهم تحت طاعته ، فكتب عنهم كاتب من اهل الاندلس كتاباً وهو: اما بعد فانك ان اعرضت عنا نسبت الى كرم ، ولم تنسب الى عجز ، وان اجبنا داعيك نسبنا الى عقل ولم ننسب الى وهن، وقد اخترنا لانفسنا اجمل نسبتينا فاختر لنفسك اكرم نسبتيك فانك بالمحل الذي لا يجب ان تسبق فيه الى مكرمة ، وان في استباقك ذوي البيوت ما شئت من دوام لأمرك وثبوت والسلام([[15]](#footnote-15)).

فلما وصله الكتاب مع تحف وهدايا وكان يوسف بن تاشفين لا يعرف اللسان العربي لكنه ذكي الطبع يجيد فهم المقاصد وكان له كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية فقال له : ايها الملك هذا كتاب من ملوك الاندلس يعظمونك فيه ويعرفونك انهم اهل دعوتك وتحت طاعتك ويلتمسون منك ان لا تجعلهم في منزلة الاعادي فانهم مسلمون وذوو بيوتات فلا تغدر بهم وكفى بهم من وراءهم من الاعداء الكفار وبلدهم ضيق لا يحتمل العساكر، فأعرض عنهم اعراضك عمن اطاعك من أهل المغرب ، فقال يوسف بن تاشفين لكاتبه: فما ترى انت؟ فقال ايها الملك اعلم ان تاج الملك وبهجته شاهده الذي لا يرد فانه خليق بما حصل في يده من الملك والمال ان يعفو اذا استعفي وان يهب اذا استوهب وكلما وهب جليلاً جزيلاً كان لقدره اعظم فاذا عظم قدره تأصل ملكه واذا تأصل ملكه تشرف الناس بطاعته واذا كانت طاعته شرفاً جاءه الناس ولم يتجشم المشقة اليهم وكان وارث الملك من غير اهلاك لاخرته واعلم ان بعض الملوك الحكماء الاكابر البصراء بطريق تحصيل الملك قال: من جاد ساد ومن ساد قاد ومن قاد ملك البلاد، فلما القى الكاتب هذا الكلام على السلطان يوسف بلغته فهمه وعلم صحته فقال للكاتب : اجب القوم واكتب بما يجب في ذلك واقرأ علي كتابك، فكتب الكاتب : بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن تاشفين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، تحية من سالمكم وسلم عليكم وانكم مما في ايديكم من الملك في اوسع اباحة مخصوصين منا باكرم ايثار وسماحة فاستديموا وفاءنا بوفائكم واستصلحوا اخاءنا باصلاح اخائكم والله ولي التوفيق لنا ولكم والسلام، فلما فرغ من كتابه قرأه على يوسف بن تاشفين بلسانه فاستحسنه وقرن به ما يصلح لهم من التحف ودرق اللمط ([[16]](#footnote-16))التي لا توجد الا في بلاده وانفذ ذلك اليهم فلما وصلهم ذلك وقرأوا كتابه فرحوا به وعظموه وسروا بولايته وتقوت نفوسهم على دفع الافرنج عنهم وازمعوا ان رأوا من الافرنج ما يريبهم انهم يرسلون الى يوسف بن تاشفين ليعبر اليهم أو يمدهم باعانة منه([[17]](#footnote-17)).

بنى امير المسلمين يوسف بن تاشفين دولة المرابطين العظيمة بجهوده وعبقريته وجهاده الطويل مما ذاع صيته وانتشرت في الافاق قوته وبطولته ومما لا يخفى ان جيرانه ملوك الاندلس كانوا من الضعف والمهانة مما جعلهم يخافون عبور يوسف بن تاشفين ليستولي على جزيرتهم ولهذا راسلوه وتوسلوا به واعلموه انهم تحت طاعته وسلطانه وطلبوا ان يكف عنهم لما علموا انه يبني المراكب والسفن ويتهيأ للعبور.

واستجاب لهم امير المسلمين يوسف بن تاشفين وامر كاتبه ان يرد عليهم ويطمأنهم ، فلما وصل اليهم كتابه وقرأوه فرحوا به ولم يعلموا ما تخبأ لهم الاقدار.

**ضعف المسلمين**

لما ضعُف المسلمون في بلاد الاندلس وتفرقت بلادهم صارت كل بلد بيد ملك فصاروا مثل ملوك الطوائف فحينئذ طمع الافرنج فيهم وأخذوا كثيراً من ثغورهم ففي سنة ثمان وسبعين واربعمائة استولى الافرنج على مدينة طليطلة([[18]](#footnote-18))واخذوها من المسلمين وهي اكبر البلاد وأحصنها وكانت بيد القادر بالله بن المأمون يحيى بن ذي النون ، فجمع الاذفونش([[19]](#footnote-19))ملك الافرنج عساكره وسار الى مدينة طليطلة فحاصرها سبع سنين وأخذها من القادر فازداد قوة الى قوته([[20]](#footnote-20)).

تفرق المسلمون في الاندلس وضعفوا واصبحت كل مدينة مملكة بيد ملك وبلغوا من الضعف والذل والهوان مبلغاً ظل علامة سوداء في التاريخ ، واتفق معظم المورخين انهم كانوا يؤدون الجزية الى ملوك النصارى كل عام والادهى من ذلك وامر ان بعضهم كان يستعين بملوك النصارى على بعضهم البعض وكان للاذفونش ملك النصارى القدح المعلى في ذلك فكان يحاصر هذه المدينة ويستولي على الاخرى والمسلمون نائمون ورحم الله شاعرنا حين قال:

مما يزهدني في ارض اندلس اسماء معتضد فيها ومعتمد

القاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صولة الاسد

ولما قوي امر الاذفونش بدأ ملوك الطوائف يصالحونه ويؤدون اليه الضريبة([[21]](#footnote-21))، وكان المعتمد بن عباد([[22]](#footnote-22))اعظم ملوك الاندلس من المسلمين وكان يملك اكثر البلاد مثل قرطبة([[23]](#footnote-23))واشبيلية([[24]](#footnote-24))ومع هذا كان يؤدي الى الاذفونش ضريبة كل سنة فلما ملك الاذفونش طليطلة ارسل اليه المعتمد بن عباد الضريبة على عادته فردها عليه ولم يقبلها منه فأرسل اليه يتوعده ويتهدده انه يسير الى مدينة قرطبة ويتملكها الا ان يسلم اليه جميع الحصون التي في الجبل ويبقى السهل للمسلمين، وكان الرسول في جمع كثير بلغوا خمسمائة فارس فانزله وفرق اصحابه على قواد عسكره ثم امر كل من عنده منهم رجل ان يقتله واحضر الرسول وصفعه حتى خرجت عيناه وسلم من الجماعة ثلاثة نفر فعادوا الى الاذفونش فاخبروه الخبر وكان متوجهاً الى قرطبة ليحاصرها فلما بلغه الخبر عاد الى طليطلة ليجمع الات الحصار ويستعد استعداداً غير الذي سبق وعاد المعتمد بن عباد الى اشبيلية([[25]](#footnote-25)).

ويفصل الحميري ذلك فيقول: لما فسد الصلح المنعقد بين المعتمد بن عباد والاذفونش ملك الافرنج بسبب افناء هذه الضريبة ما في ايدي المسلمين من كور، فان المعتمد اشتغل عن اداء الضريبة في الوقت الذي جرت عادته ان يؤديها فيه بغزو ابن صمادح([[26]](#footnote-26))صاحب مرية واستنفاذه ما في يديه بسبب ذلك تأخر المعتمد بن عباد عن اداء الاتاوة عن وقتها فاستشاط الطاغية غضباً وتشطط فطلب بعض الحصون زيادة على الضريبة وامعن في التجني فسأل في دخول امرأته الى جامع قرطبة لتلد فيه من حمل كان بها حين اشار عليه بذلك القسيسون والاساقفة ، وسأل ان تنزل امرأته بالمدينة الزهراء غربي مدينة قرطبة وزعم ان الاطباء اشاروا عليه بالولادة في الزهراء كما اشار القسيسون عليه بالجامع ، وارسل في تلك المهمة رسولاً يهودياً لابن فرذلند( الاذفونش) ، فلما حضر هذا الرسول بين يدي المعتمد بن عباد وتكلم ببعض ما جاء به من صاحبه فأيأسه ابن عباد من جميع مطالبه فاغلظ اليهودي له القول وشافهه بما لم يحتمله فأخذ ابن عباد محبرة كانت بين يديه فانزلها على رأس اليهودي فألقى دماغه في حلقه وأمر به فصلب منكوساً بقرطبة ، وبلغ الاذفونش ما صنع ابن عباد فأقسم بالهته ليغزونه باشبيلية ويحصره في قصره، فجهز الاذفونش جيشاً قاده بنفسه وعسكر بضفة النهر قبالة قصر ابن عباد وكتب اليه زارياً عليه : كثُر بطول مقامي في مجلسي الذباب واشتد علي الحر فاتحفني من قصرك بمروحة اروح بها عن نفسي واطرد بها الذباب عني، فلما وصلت هذه الرسالة الى المعتمد بن عباد كتب على ظهر الرقعة : قرأت كتابك وفهمت خيلاءك واعجابك وسأنظر لك في مراوح من الجلود اللمطية([[27]](#footnote-27))في ايدي الجيوش المرابطية تريح منك لا تروح عنك ان شاء الله ، فلما ترجمت هذه الرسالة الى للاذفونش اطرق اطراق من لم يخطر له ذلك وفشا في بلاد الاندلس خبر توقيع المعتمد بن عباد وما اظهر من العزيمة على اجازة الصحراويين والاستظهار بهم على النصارى وملكهم الاذفونش فاستبشر الناس وفتحت لهم ابواب الامال([[28]](#footnote-28)).

تعاظم امر النصارى في الاندلس في هذه الفترة وتصاغر امر المسلمين وبلغوا من الذل مبلغاً انه مجرد ان يتأخر المعتمد بن عباد عن دفع الجزية في موعدها المحدد حتى يرفضها ملك النصارى ويطلب منه ان يسلمه جميع الحصون التي في الجبل بل بلغت جراءته على المعتمد ان يطلب منه ان تلد زوجته في جامع قرطبة الشهير مدعياً ان الاساقفة والرهبان والاطباء اشاروا عليه بذلك.

مما اضطر المعتمد بن عباد ان يجيبه بخطاب يتضمن رداً قاسياً له لم يعتاده ملك الافرنج من ملوك المسلمين ويعلمه انه سيطلب له مراوح من الجلود اللمطية في اشارة صريحة الى استدعاء امير المسلمين يوسف بن تاشفين، فاستبشر الناس خيراً وعظموا موقف المعتمد وساندوه.

ولما رأى المسلمون هوانهم وضعفهم وما صاروا اليه اجتمع فقهاؤهم وقالوا : هذه مدن الاسلام قد تغلب عليها الافرنج وملوكنا مشتغلون بمقاتلة بعضهم بعضاً وان استمرت الحال على ما هو عليه ملك الافرنج جميع البلاد ، عندها جاءوا الى القاضي عبيد الله بن محمد ابن ادهم وفاوضوه فيما نزل بالمسلمين وتشاوروا فيما يفعلونه فقال كل واحد منهم شيئاً واخر ما اجتمع رأيهم عليه ان يكتبوا الى امير المسلمين ابي يعقوب يوسف بن تاشفين ملك الملثمين صاحب مراكش يستنجدونه ، وعلى اثر ذلك اجتمع القاضي بالمعتمد بن عباد واخبره بما جرى فوافقهم على انه مصلحة للمسلمين وقال المعتمد للقاضي : تمضي بنفسك اليه فامتنع فالزمه بذلك فقال استخير الله سبحانه وتعالى وخرج من عنده وكتب كتاباً الى يوسف بن تاشفين يخبره بصورة الحال وسيره مع بعض عبيده اليه([[29]](#footnote-29)).

ويؤكد ابن الاثير رواية ابن خلكان ولكنه يضيف عليها فيقول: لما رأى مشايخ قرطبة قوة الافرنج وضعف المسلمين واستعانة بعض ملوكهم بالافرنج على بعض اجتمعوا وقالوا هذه بلاد الاندلس قد غلب عليها الافرنج ولم يبق الا القليل وان استمرت الاحوال على ما نرى عادت بلاد الاندلس نصرانية كما كانت عندها ساروا الى القاضي عبد الله بن محمد بن ادهم فقالوا له: الاتنظر الى ما فيه المسلمون من الصغار والذلة واعطائهم الجزية بعد ان كانوا يأخذونها وفد رأينا رأياً نعرضه عليك قال : ما هو قالوا: نكتب الى عرب افريقية ونبذل لهم اذا وصلوا الينا قاسمناهم اموالنا وخرجنا معهم مجاهدين في سبيل الله ، قال: نخاف اذا وصلوا الينا يخربون بلادنا كما فعلوا بافريقية ويتركون الافرنج ويبدأون بكم والمرابطون اصلح منهم واقرب الينا ، قالوا له نكتب الى امير المسلمين ونرغب اليه ليعبر الينا أو يرسل بعض قواده ، فقدم عليهم المعتمد بن عباد وهم في ذلك فعرض عليه القاضي ابن ادهم ما كانوا فيه، فقال ابن عباد: انت رسولي اليه في ذلك، فسار الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين فابلغه الرسالة واعلمه ما فيه المسلمون من الخوف من الاذفونش([[30]](#footnote-30)).

أكد اغلب المؤرخين ان استدعاء يوسف بن تاشفين لعبور البحر الى جزيرة الاندلس لم يكن مطلب المعتمد بن عباد فقط لمقاومة الاذفونش وانما كان مطلباً عاماً ينادي به المسلمون في الاندلس نتيجة لحالهم الذي وصلوا اليه من الصغار والذل واهمال ملوكهم للرعية واشتغالهم في النزاع فيما بينهم لذلك لجأ الناس الى فقهائهم ليطلبوا منهم ذلك وعليه فلما عزم المعتمد ابن عباد على استدعاء ابن تاشفين كان استجابةً لما اراد الناس ووافق رغبته وهواه في ذلك.

**تعاظم قوة الاذفونش**

في سنة تسع وسبعين واربعمائة وفد من اهل الاندلس الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين لما بلغهم ما كان عليه من القوة والاستعداد والمحبة في الجهاد جماعة من وجوهها فأخبروه بحالها وبكلب العدو عليها وكان الطاغية الاذفونش في سنة ثمان وسبعين واربعمائة قد غلب على طليطلة واستولى على اعمالها وحازها لنفسه وكثُر الروع على الاندلس واشتد الخوف وتطرق لبلاد المعتمد بن عباد ولما ملك الاذفونش اعمال طليطلة طمع في الاستيلاء على الجزيرة كلها وهابت الملوك امره لكون طليطلة نقطة دائرتها ، خاطب المعتمد بن عباد يطلب منه تسليم اعماله الى رسله وعماله واشتط عليه في الطلب واظهر له السرور بالغلب فمما خاطبه به : من الكنيبطور ذي الملتين الملك المفضل الاذفونش بن شانجة الى المعتمد بالله سدد الله اراءه وبصره مقاصد الرشاد، سلام عليك من مشيد ملك شرفته القنا ونبتت في ربعه المنى فاعتز اعتزاز الرمح بعامله والسيف بساعد حامله وقد ابصرتم ما نزل بطليطلة واقطارها وما صار باهلها حين حصارها فأسلمتم اخوانكم وعطلتم بالدعة زمانكم والحذر من ايقظ باله قبل الوقوع في الحبالة ولولا عهد سلف بيننا نحفظ ذمامه ونسعى بنور الوفاء امامه لنهض بنا نحوكم ناهض العزم ورائده ووصل رسول الغزو ووارده لكن الانذار يقطع الاعذار ولا يعجل الا من يخاف الفوت فيما يرومه أو يخشى الغلبة على ما يسومه وقد حملنا الرسالة اليكم القرمط البرهانس وعنده من التسديد الذي يلقى به امثالك والعقل الذي يدبر به بلادك ورجالك مما اوجب استنابته فيما يدق ويجل وفيما يصلح لا فيما يخل وانت عندما تأتيه من ارائك والنظر بعد هذا من ورائك والسلام عليك يسعى بيمينك وبين يديك.

فلما وصل هذا الكتاب الى المعتمد بن عباد جاوب عنه بخطه من نظمه ونثره بما نصه:

الذل تأباه الكرام وديننا لك ما ندين به من البأساء

سمناك سلماً ما اردت وبعد ذا نغزوك في الاصباح والامساء

الله اعلى من صليبك فادرع لكتيبة حطمتك في الهيجاء

سوداء غابت شمسها في غيمها فجرت مدامعها بفيض دماء

ما بيننا الا النزال وفتنة قدحت زناد الصبر في الغماء

فلتقدمن اذا لقيت اسنة زرقاً ترى بالوجنةالوجناء

في ابيات كثيرة بعد ذلك، من الملك المنصور بفضل الله المعتمد على الله محمد بن المعتضد بالله ابي عمرو بن عباد الى الطاغية الباغية اذفنش بن شالجة الذي لقب نفسه بملك الملوك وسماها بذي الملتين قطع الله دعواه ، سلام على من اتبع الهدى اما بعد: فانه اول ما نبدأ به دعواه انه"ذو الملتين" والمسلمون احق بهذا الاسم لأن الذي تملكوه من امصار البلاد وعظيم الاستعداد ومجبى المملكة لا تملكه قدرتكم ولا تعرفه ملتكم وانما كانت سنة سعد ايقظ منها مناديك واغفل عن النظر السديد جميل مباديك فركبنا مركب عجز نسخه الكيس وعاطيناك كؤوس دعة قلت في اثنائها : ليس ولا تستحي ان تأمر بتسليم البلاد لرجالك وانا لنعجب من استعمالك برأي لم تحكم انحاؤه ولا حسن انتحاؤه واعجابك بصنع وافقتك فيه الاقدار واغتررت بنفسك اسوأ الاغترار اما تعلم انا في العدد والعديد والنظر السديد ولدينا من كماة الفرسان وجيل الانسان وحماة الشجعان يوم يلتقي الجمعان رجال تدرعوا بالصبر وكرهوا الكبر تسيل نفوسهم على حد الشفار وتنعاهم الهام في القفار يديرون رحى الموت بحركات العزائم ويشفون من خبط الجنون بخواتم العزائم قد اعدوا لك ولقومك جلاداً رتبة الاتفاق وشفاراً حداداً شحذها الاصفاق وقد يأتي المحبوب من المكروه والندم من عجلة الشرور نبهت من غفلة طال زمانها وأيقظت من نومة تجدد امانها ومتى كانت لاسلافك الاقدمين مع اسلافنا الاكرمين يد صاعدة أو وقفة متساعدة الاذل تعلم مقداره وتتحقق مثاره والذي جرأك على طلب ما لا تدركه قوم كالحمر((لا يقاتلونكم جميعاً الا في قرى محصنة أو من وراء جدر)) ([[31]](#footnote-31)) ظنوا المعاقل تعقل والدول لا تنتقل وكان بيننا وبينك من المسالمة ما أوجب العقود عن نصرتهم وتدبير امرهم ونسأل الله سبحانه المغفرة فيما أتيناه في انفسنا وفيهم من ترك الحزم واسلامهم لأعاديهم والحمد لله الذي جعل عقوبتنا توبيخك وتقريعك بما الموت دونه وبالله نستعين عليك ولا نستبطئ في مسيرتنا اليك والله ينصر دينه الكريم((ولو كره الكافرون)) ([[32]](#footnote-32)) والسلام على من علم الحق فاتبعه واجتنب الباطل وخدعه([[33]](#footnote-33)).

**خلاف المعتمد والاذفونش**

اشار على المعتمد بن عباد خواصه بمصانعة الاذفونش وعقد السلم معه على اداء مال معلوم عن كل حول فنكل عن ادائه لضعف بلاده وجلاء اهلها عنها فافترض على أهل اشبيلية فريضة افتقر فيها اكثرهم وانجلى اخرون فوصل اليه رسول الاذفونش ومعه اليهودي ابن شالب لقبض مال الجزية على عادتهم في كل سنة ونزلوا خارج اشبيلية فوجه اليهم المعتمد المال المعلوم مع بعض اشياخ اشبيلية منهم ابن زيدون([[34]](#footnote-34)) غيره فلما وصلوا الى خبائه واخرجوا اليه المال العين والسبائك قال لهم اليهودي:

والله لا أخذ منه هذا العيار ولا أخذ منه الا مشحراً([[35]](#footnote-35)) ولا يؤخذ منه في هذا العام الا اجفان البلاد وزاد في كلامه ونقص واساء الادب فبلغ المعتمد بن عباد خبره فدعا بعبيده وبعض جنوده وأمرهم بالخروج لقتل اليهودي ابن شالب واسر من كان معه من النصارى ففعلوا ما امرهم به من ذلك([[36]](#footnote-36)).

فلما بلغ ذلك الاذفونش اقسم بايمان مغلظة ان لا يرفع يده عنه وانه سيحشر من جنود الروم عدد شعر رأسه ويصل بهم الى بحر الزقاق([[37]](#footnote-37)) فكان ذلك، وخرج الاذفونش في جيش لا يحصى كثرة وافسد في الشرف فساداً كبيراً وحرقه واجتاز عليه قاصداً حصن طريف فوقف على شاطئ بحر الزقاق والموج يضرب ارساغ فرسه وخاطب الامير يوسف بن تاشفين بما نصه: من امير الملتين اذفنش بن شالجة الى الأمير يوسف بن تاشفين اما بعد : فلا خفاء على ذي عينين انك امير المسلمين بل الملة المسلمة كما انا امير الملة النصرانية ولم يخف عليك ما عليه رؤساؤكم بالاندلس من التخاذل والتواكل والاهمال للرعية والاخلاد الى الراحة وانا أسومهم الخسف فاخرب الديار واهتك الاستار واقتل الشبان وأأسر الولدان ولا عذر لك في التخلف عن نصرهم ان امكنتك فرصة هذا وانتم تعتقدون ان الله تبارك وتعالى فرض على كل واحد منكم قتال عشرة منا وان قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار ونحن نعتقد ان الله اظفرنا بكم واعاننا عليكم ولا تقدرون دفاعاً ولا تستطيعون امتناعاً وبلغنا عنك انك في الاحتفال على نية الاقبال فلا ادري اكان الجبن يبطئ بك ام التكذيب بما انزل اليك فان كنت لا تستطيع الجواز فابعث اليَ ما عندك من المراكب لاجوز اليك وانا اقاتلك في احب البقاع اليك فان غلبتني فتلك غنيمة جلبت اليك ونعمة مثلت بين يديك وان غلبتك كانت لي اليد العليا واستكملت الامارة والله يتم الارادة، فأمر امير المسلمين يوسف ابن تاشفين ان يكتب اليه على ظهر كتابه: جوابك يا اذفنش ما تراه لا ما تسمعه ان شاء الله ، واردف الكتاب ببيت ابي الطيب المتنبي:

ولا كتب الا المشرفية والقنا ولا رسل الا الخميس العرمرم([[38]](#footnote-38))

شكل رد المعتمد بن عباد بقتل رسول الاذفونش صدمة عنيفة للاذفونش فلم يكن ينوقع ان يجرأ احد من ملوك الاندلس ان يقوم بذلك وهو يسومهم سوء العقاب متى شاء ولهذا اقشم الاذفونش ان يلقن المعتمد بن عباد درساً قاسياً ، فبدأ بتحشيد جيشه واستنفار جنوده حتى بلغوا من الكثرة ما لا يحصى عدده ولكنه لم يذهب الى اشبيلية لتأديب المعتمد كما زعم وانما اتجه نحو شاطئ بحر الزقاق قبالة سبتة ليخاطب امير المسلمين يوسف بن تاشفين ويسخر منه ويتحداه، وفي هذه الرواية نظر، لماذا يتجه الى بحر الزقاق؟ الا يستطيع ان يوجه رسالته وتحديه من طليطلة مثلاً؟ ايبذل كل هذا الجهد والعناء ليوجه رسالة فقط ؟ وقد قضى في سفرته تلك اياماً وليالياوالمعتمد ليس بعيد عنه انه قاب قوسين أو ادنى، فلا يمكننا ان نسلم برواية وصوله الى شاطئ بحر الزقاق ـ مضيق جبل طارق ـ لانعدام المسوغ لذلك أو قد يكون انه قال في معرض قسمه لغزو المعتمد بن عباد انه مستعد ان يصل بجيشه الى بحر الزقاق في اشارة منه الى اخر نقطة من جزيرة الاندلس .

ومن المؤكد ان قتل رسوله على يد المعتمد جعلته يستشيط غيضاً وغضباً فضلاً عن معرفته باستدعاء امير المسلمين يوسف بن تاشفين لذلك حشد جنوده وابطاله واستنفر النصارى في كل بلاد اوربا وقد مارس الاساقفة والرهبان دورهم في ذلك التحشيد، والحقيقة التي لا مراء فيها ان الحروب الصليبية من هنا بدأت بعد ان أخذ البعد الديني مداه في استنفار الهمم لطرد المسلمين من الاندلس.

**استدعاء ابن تاشفين**

كان المعتمد بن عباد قبل هذا لما رأى امره في ادبار وان الاذفونش قد عزم عليه شاور خاصته ووجود دولته في شأن استدعاء يوسف بن تاشفين فاشاروا عليه بمداراة الاذفونش ملك قشتالة وطلب معاهدته وعقد السلم معه على ما يذهب اليه من الشروط وكيف امكن وان ذلك اولى من تجويز المرابطين ، ثم انه خلا بعد ذلك بابنه وولي عهده الرشيد أبي الحسن عبيد الله وقال له: يا عبيد الله أنا في هذه الاندلس غرباء بين بحر مظلم وعدو مجرم وليس لنا ولي ولا ناصر الا الله تعالى وان اخواننا وجيراننا ملوك الاندلس ليس لنا فيهم نفع ولا ترجي منهم نصرة ولا جنة ان نزل بنا مصاب أو نالنا عدو ثقيل وهذا اللعين اذفنش قد أخذ طليطلة من يد ابن ذي النون بعد سنة سبع وسبعين وعادت دار كفر وها هو قد رفع رأسه الينا وان نزل علينا بكلكلة ما يقلع عنا حتى يأخذ اشبيلية ونرى من الرأي ان نبعث الى هذا الصحراوي ملك العدوة نستدعيه للجواز ليدفع عنا هذا الكلب اللعين اذ لا قدرة لنا على ذلك بأنفسنا فقد تلف مجبانا وتبددت اجنادنا علينا في اندلسنا من يسلبنا ملكنا ويبدد شملنا فقال اي بني : والله لا يسمع عني اني اعدت الاندلس دار كفر ولا تركتها للنصارى فتقوم عليَ اللعنة في منابر المسلمين مثلما قامت على غيري، حرز الجمال والله عندي خير من حرز الخنازير فقال له ابنه: يا أبت افعل ما اراك الله فقال: ان الله لم يلهمني هذا الا وفيه خير وصلاح لنا ولكافة المسلمين فاستفتح مخاطبته وجعل يستصرخه ويستمليه بمكاتبات منها من انشائه ومنها من انشاء كتابه فمن انشائه وخطه ما نصه: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً الى حضرة الامام امير المسلمين وناصر الدين امير المسلمين أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ، من القائم بعظيم اكبارها الشاكر لاجلالها المعظم لما عظم الله من كريم مقدارها اللائذ بحرمها المنقطع الى سمو مجدها المستجير بالله وبطولها محمد بن عباد سلام الله الكريم يخص الحضرة العلية المعظمة السامية ورحمة الله وبركاته وكتب المنقطع الى كريم سلطانها من اشبيلية غرة جمادى الاولى سنى تسع وسبعين واربعمائة وانه ايد الله امير المسلمين ونصر به الدين انا نحن العرب في هذه الاندلس قد تلفت قبائلنا وتفرق جمعنا وتغيرت انسابنا بقطع المادة عنا من معيننا فصرنا شعوباً لا قبائل واشتاتاً لا قرابة ولا عشائر فقل ناصرنا وكثر شامتنا وتوالى علينا هذا العدو المجرم اللعين اذفنش واناخ علينا بكلكله ووطئنا بقدمه واسر المسلمين وأخذ البلاد والحصون ونحن اهل الاندلس ليس لاحد منا طاقة على نصرة جاره ولا أخيه ولو شاؤوا لفعلوا الا ان الهوان منعهم عن ذلك وقد ساءت الاحوال وانقطعت الامال وانت ايدك الله ملك المغرب ابيضه واسوده وسيد حمير ومليكها الاكبر واميرها وزعيمها ونزعت بهمتي اليك واسنصرت بالله ثم بك واستغيث بحرمكم لتجوز لجهاد هذا العدو الكافر وتحيوا شريعة الاسلام وتذبوا عن دين محمد عليه الصلاة والسلام ولكم بذلك عند الله الثواب الكريم والاجر الجسيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والسلام الكريم على حضرتك السامية ورحمة الله تعالى وبركاته([[39]](#footnote-39))**.**

ومما كتب في استدعائه من انشاء كتابه ما ينسب الى الوزير الكاتب ابي بكر بن الجد ([[40]](#footnote-40)) : الى الملك المؤيد بفضل الله امير المسلمين وناصر الدين وزعيم المرابطين أبي يعقوب يوسف بن تاشفين نور الله به الافاق وجمع به الجيوش والرفاق ، من الملك المفضل بنعمة الله المستجير برحمة الله المعتمد على الله محمد بن عباد سلام على حضرة تجرد ايمانها واشتهر امانها اما بعد : فان الله سبحانه ايد دينه بالاتفاق والائتلاف وحرم مسالك الشتات ودواعي الاختلاف وأنعم على عباده بامير جديد ((وقوم أولي بأس شديد))([[41]](#footnote-41)) وتطول بمعلوم جدك ومشهور جدك وقد جعلك رحمة يحيى غيثها ربوع الشريعة وخلقك سلماً الى الخير وذريعة وقد طرأ على الاسلام حادث أنسى كل هم وهمت النكبات بوقوعه وهم، وذلك عدو أطمعه في البلاد شتات وبين واختلاف سببه لم تطرف له في الدعة عين يقوى ونضعف ويتفق ىونختلف وننام مطمئنين من آفات الزمان وتناسخ الأمان وقد جاءنا ابراقه وارعاده ووعده وايعاده لنسلم له المنابر والصوامع والمحارب والجوامع ليقيم بها الصلبان ويستنيب بها الرهبان ومما يطمعه استمالته ايانا بالدعة واملاؤه في الرحب والسعة استجراراً لما ابطنه واهجاماً علينا وطنه، وقد وطد الله لك ملكاً شكر الله عليك جهادك وقيامك بحقه واجتهادك ولك من نصر الله خير باعث يبعثك الى نصر منارهواقتباس نوره وناره وعندك من جنود الله من يشتري الجنة بحياته ويحضر الحرب بآلاته فان شئت الدنيا فقطوف دانية وجنات عالية وعيون آنية وان اردت الاخرة فجهاد لا يفتر وجلاد يحز الغواصم ويبتر هذه الجنة ادخرها الله لظلال سيوفكم واجمال معروفكم نستعين بالله وملائكته وبكم على الكافرين كما قال الله سبحانه وهو أكرم القائلين : ((قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين))([[42]](#footnote-42)) والله يجمعنا على كلمة التوحيد ننصرها ونعمة الاسلام نشكرها ورحمة الله نتحدث بها وننشرها والسلام الموصول الجزيل على امير المسلمين وناصر الدين ورحمة الله وبركاته([[43]](#footnote-43)) **.**

عزم المعتمد بن عباد على استدعاء يوسف بن تاشفين لنصرته ودفع اذى الاذفونش عنه وعن المسلمين فارسل اليه طالباً نجدته عارضاً عليه احوال المسلمين في الاندلس وقد ذكر المؤرخون في هذه الرواية انه ارسل له خطابين، خطاب من انشائه والاخر من انشاء كاتبه أبي بكر بن الجد، وليس من المعقول ان يرسل له خطابين متزامنين لنفس الغرض وعليه فمن المحتمل ان يكون احد الخطابين ارسل لمناسبة اخرى أو انه من انشاء النساخ أو غيرهم ، وعند قراءتنا لكلا الخطابين نجد ان الخطاب الذي من انشاء المعتمد اقوى من حيث السبك والنظم واكثر بلاغة واصدق معان واقرب الى واقع المسلمين في الاندلس ، نعم اعتاد الملوك والامراء ان يتخذوا كتاب وقد اتخذ المعتمد بن عباد مجموعة من الكتاب ولا شك في ذلك، وليس غريباً ان يكتب المعتمد خطابه بنفسه وهو الاديب الشاعر وصاحب الحس الرفيع ويفرط في هذا الوقت بهذه المهمة دون ان يضع عليها لمسته الفنية الرائعة.

**انفراد المعتمد عن ملوك الاندلس**

انفرد المعتمد بن عباد بتدبير ما عزم عليه من مداخلة امير المسلمين يوسف بن تاشفين ورأت ملوك الطوائف بالاندلس ما عزم عليه من ذلك فمنهم من كتب اليه ومنهم من شافهه، كلهم يحذرونه سوء عاقبة ذلك وقالوا له: الملك عقيم والسيفان لا يجتمعان بغمد ، فاجابهم ابن عباد بكلمته المأثورة السائرة مثلاً :(( رعي الجمال خير من رعي الخنازير)) اي كونه مأكولاً لابن تاشفين اسيراً يرعى الجمال في الصحراء خير من كونه ممزقاً للاذفونش اسيراً يرعى خنازيره في قشتالة، وكان مشهوراً بوثاقة الاعتقاد وقال لعذاله ولوامه:يا قوم انا من امري على حاليتن : حالة يقين وحالة شك ولا بد لي من احدهما فاما حالة الشك فاني ان استندت الى ابن تاشفين أو الاذفونش ففي الممكن ان يفي لي ويبقى على وفائه ويمكن ان لا يفعل ، فهذه حالة الشك واما حالة اليقين فاني ان استندت الى ابن تاشفين فأنا ارضي الله وان استندت الى الاذفونش اسخطت الله تعالى فاذا كانت حالة الشك فيها عارضة فلأي شئ أدع ما يرضي الله واتي ما يسخطه ؟ فحينئذ قصر اصحابه عن لومه([[44]](#footnote-44)).

فلما عزم المعتمد بن عباد على ذلك خاطب جاريه المتوكل عمر بن محمد([[45]](#footnote-45)) صاحب بطليوس([[46]](#footnote-46))وعبدالله بن حبوس بن ماكسين الصنهاجي صاحب غرناطة يأمرهما ان يبعث كل واحد منهما اليه قاضي حضرته ففعلا ثم استحضر قاضي الجماعة بقرطبة أبا بكر عبيدالله بن ادهم وكان اعقل اهل زمانه فلما اجتمع القضاة عنده باشبيلية اضاف اليهم وزيره ابا بكر بن زيدون وعرفهم اربعتهم انهم رسله الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين، واسند الى القضاة ما يليق بهم من وعظ يوسف بن تاشفين وترغيبه بالجهاد وأسند الى وزيره ما لا بد منه في تلك السفارة من ابرام العقود السلطانية، وكان يوسف بن تاشفين لا تزال تفد عليه وفود ثغور الاندلس مستعطفين مجهشين بالبكاء ناشدين الله والاسلام مستنجدين بفقهاء حضرته ووزرائه فاستمع اليهم ورق لهم ولما انتهى الرسل الى ابن تاشفين اقبل عليهم واكــرم مثواهم([[47]](#footnote-47)).

ولكن المراكشي يورد رواية اخرى فيقول: لما كانت سنة تسع وسبعين واربعمائة جاز المعتمد على الله بن عباد البحر قاصداً مدينة مراكش الى يوسف بن تاشفين مستنصراً به على الروم فلقيه يوسف احسن لقاء وانزله اكرم نزل وسأل عن حاجته فذكر انه يريد غزو الروم وانه يريد امداد امير المسلمين اياه بخيل ورجال ليستعين بهم في حربه ، فاسرع امير المسلمين اجابته الى ما دعاه اليه وقال انا اول منتدب لنصرة هذا الدين ولا يتولى هذا الامر احد الا انا بنفسي ، فرجع المعتمد بن عباد الى الاندلس مسروراً باسعاف امير المسلمين اياه طلبته ولم يدر ان تدميره في تدبيره وسل سيفاً يحسبه له ولم يدر انه عليه فكان كما قال ابو فراس الحمداني :

اذا كان غير الله للمرء عُدةً اتته الرزايا من وجوه الفوائد

كما جرت الحنفاء حتف حذيفة وكان يراها عُدةً للشدائد([[48]](#footnote-48))

اختلف المؤرخون في استدعاء امير المسلمين يوسف بن تاشفين، فذهب بعضهم الى انه ارسل له قاضيه ابن ادهم وحمله رسالة منه، وذهب البعض الاخر الى انه ارسل له قضاة الاندلس مع وزيره ابن زيدون، وذهب البعض الاخر ومنهم المراكشي الى ان المعتمد بن عباد عبر الى المغرب بنفسه واستنجد بيوسف بن تاشفين.

ولا يمكن ان تكون جميع هذه الروايات صحيحة لان بعضها يناقض البعض الاخر، أو ان بعضها كان لمناسبات اخرى أو ان لبس حصل في هذه الجزئية، ولا نملك من الادلة أو الحجج لنرد بعضها سوى رواية المراكشي لانه ليس من المعقول ان يترك المعتمد بن عباد اشبيلية في تلك الظروف الحرجة وخطر الاذفونش يداهمه صباح مساء ويعبر البحر الى بلاد المغرب ليستنجد بامير المسلمين ، ويترك جنوده لوحدهم يتصدون للخطر المحدق بهم، ولا يخفى على احد مدى اهمية وجود القائد بين جنوده في هذه الظروف ليرفع من معنوياتهم ويشد ازرهم .

ويرتفع اللبس عن تلك الروايات لو سلمنا ان المعتمد كتب الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين خطاباً وارسله مع قاضيه ابن ادهم وكان القاضي المذكور مع قضاة الاندلس في رحلتهم الى امير المسلمين، وعندها تتحد الروايات السابقة لهذه الدعوة.

**مراجعة ابن تاشفين لعرض المعتمد**

لما وصل يوسف بن تاشفين خطاب المعتمد بن عباد ووقف على مقتضى ما كتب به وعرف ما ذكر من معناه اطلع عليه اخوته وبني عمه وقال لهم ما ترون فيما كتب به هذا الرجل وكان هؤلاء المرابطون قوماً صحراويين لم يعاينوا نصرانياً قط ولا شاهدوا حرباً الا ما بكون بينهم وكانوا يودون ان يغزوا ويدخلوا بلاد الاندلس، فلما استشارهم امامهم قالوا له : ايد الله امير المسلمين اما ذكرت من استعانة هذا الرجل بك فواجب على كل مسلم يؤمن بالله ورسوله اعانة اخيه المسلم واخرى فانه لا يحل لنا ان يكون جارنا وبيننا وبينه ساقية ماء فنفرده طعمة للعدو فهذا كما ترونه والامر لله ثم لامير المسلمين ، وبعد ذلك خلا باحد كتابه وهو عبد الرحمن بن اسباط وكان اندلسياً من اهل المرية واستشاره فقال له ان الامر لله تعالى ثم لكم فقال له: ومع هذا فقل ما عندك؟ فقال له : واجب على كل مسلم اغاثة اخيه المسلم والانتصار له غير ان لي كلاماً انهيه اليكم فقال له: قل ما عندك يا عبد الرحمن فقال له: ايد الله الامير تعلمون ان الاندلس جزيرة مقطوعة في البحر يعمر المسلمون منها الثمن وسبعة اثمان يعمرها النصارى وهي ضيقة حرجة سجن لمن دخلها لا يخرج منها الا تحت حكم صاحبها وان انت جزت اليها وحصلت فيها ما يكون في نفسك شئ وهذا الرجل الذي استدعاك ما بينك وبينه متات قديم ولا صداقة متصلة ويتقي اذا قضى الله الغرض من العدو ان يمسك بها والحال كما ترونه والنظر اليكم فاكتب اليه انك لا يمكنك الجواز اليه الا ان يعطيك الجزيرة الخضراء([[49]](#footnote-49))فتجعل فيها ثقاتك واجنادك ويكون الجواز بيدك متى شئت فقال له : صدقت يا عبد الرحمن لقد نبهتني على شئ لم يخطر ببالي واكتب له بذلك ، فكتب ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم: وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، من امير المسلمين وناصر الدين الى الامير الاكرم المؤيد بنصر الله المعتمد على الله أبي القاسم ابن عباد أدام الله كرامته بتقواه ووفقه لما يرضاه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، اما بعد: فانه وصل خطابكم المكرم فوقفنا على ما تضمنه من استدعائنا لنصرتك وما ذكرته من كربتك وما كان من قلة حماية جيرانك فنحن يمين لشمالك ومبادرون لنصرتك وحمايتك واوجب علينا ذلك الشرع وكتاب الله تعالى وبانه لا يمكننا الجواز الا ان تسلم لنا الجزيرة الخضراء تكون لنا لكي يكون جوازنا اليك على ايدينا متى شئنا ، فان رأيت ذلك فاشهد به على نفسك وابعث الينا بعقدها ونحن في اثر خطابك ان شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته([[50]](#footnote-50)).

وصل خطاب المعتمد بن عباد الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين والذي يتضمن استدعائه للعبور ونجدته وتخليص المسلمين من شرور الاذفونش، واول ما قام به يوسف ابن تاشفين هو استشارة وزرائه واولي الامر في دولته ، وهنا تبرز اهمية البطانة الصالحة التي يتخذها الملك أو الامير من غيرها، فأخبروه مستشاروه ان نصرة المسلم لاخيه المسلم من الواجبات الشرعية، ويمكننا ان نتلمس في هذه الرواية رغبة البطانة بالعبور وتسهيلها للامور فقالوا : كيف نفرد جارنا المسلم طعمة للعدو وبيننا وبينه ساقية ماء؟

ساقية الماء هذه هو بحر الزقاق مضيق جبل طارق وعبور الجيوش البحار من الصعوبة بمكان أو هي مغامرة ما بعدها مغامرة، والعرب لا تعرف ركوب البحار ولم تعتاده ولهذا نرى ان القائد طارق بن زياد لما عبر الى الاندلس في سنة اثنتين وتسعين بعد الهجرة المباركة كان ضرباً من الخيال فلما تكللت المهمة بالنجاح اكبر المسلمون ذلك وتناوله المؤرخون بتعظيم لا يجارى.

ويبدو ان امير المسلمين يوسف بن تاشفين اعتاد استشارة وزرائه وكتابه في اموره وفقاً للرواية السالفة الذكر واردف الامير باستشارة كاتبه عبد الرحمن بن اسباط كونه اندلسياً ويعرف خبايا الاندلس واهل مكة ادرى بشعابها، فلما اشار عليه بأخذ الجزيرة الخضراء لتكون محط رحاله ومرساه على البحر وقاعدة انطلاق لجيوشه استدرك مباشرةً وشكره على تنبيهه وكتب الى المعتمد بن عباد يشترط عليه ان يعطيه الجزيرة الخضراء.

ولما ورد خطاب امير المسلمين يوسف بن تاشفين الى المعتمد على الله قال له ابنه الرشيد: يا أبت الا تنظر الى ما طلب منك؟ فقال له: يا بني ذاك قليل في حق نصرة المسلمين، فجمع المعتمد على الله القاضي والفقهاء وكتب عقد هبة الجزيرة الخضراء ليوسف بن تاشفين وتسليمها له بمحضر ذلك الجمع وبعث به اليه وكان ابنه الراضي يزيد اذ ذاك صاحب الجزيرة الخضراء فأمره باخلائها والانتقال عنها ، ولما وصل العقد والخطاب لامير المسلمين يوسف بن تاشفين بالجواز استنفر جميع حشوده وبعث في البلاد الى جنوده

ورحل الى سبتة([[51]](#footnote-51))فأقام بها وأخذ في تجويز عساكره حتى لم يبق منهم احد جاز هو في

اثرهم واحتل الجزيرة الخضراء([[52]](#footnote-52)).

استغرب الرشيد بن المعتمد من موافقة ابيه على اعطاء الجزيرة الخضراء مستعظماً ذلك ورد عليه ابوه : ان ذلك قليل في حق نصرة المسلمين.

ولا نعرف مدى صدق نية المعتمد في ذلك ولكن المهم ان ضياع جزء افضل من ضياع الكل.

وكان عبور امير المسلمين البحر عبوراً هيناً حتى اتى الجزيرة الخضراء ففتحوا له وخرج اليه اهلها بما عندهم من الاقوات والضيافات واقاموا له سوقاً جلبوا اليه ما عندهم من سائر المرافق واذنوا للغزاة المجاهدين دخول البلد فامتلأت المساجد والرحبات بالمتطوعين وتواصوا بهم خيراً([[53]](#footnote-53)) **.**

وذكر ابن خلكان : ان ابن تاشفين لما عزم على العبور الى الجزيرة الخضراء سير الى مراكش يستدعي من تخلف بها من جيشه فلما تكاملوا عنده امرهم بالعبور وعبر اخرهم وهو في عشرة الاف مقاتل فلما تسامع المسلمون بذلك خرجوا مـ ن كل البلاد طلباً للجهاد([[54]](#footnote-54)) **.**

اما السلاوي فقال: لما نزل المعتمد على الله بن عباد ليوسف بن تاشفين عن الجزيرة الخضراء لتكون رباطاً لجهاده، ودخل يوسف سبتة فنظر في امرها واصلح سفنها وقدمت عليه بها جنود الله من المغرب والصحراء والقبلة والزاب فشرع في اجازتها الى الاندلس، ولما تكاملت بساحل الخضراء عبر هو في اثرها في موكب عظيم من قواد المرابطين وانجادهم وصلحائهم فلما استوى على ظهر السفينة رفع يديه وقال: اللهم ان كنت تعلم ان في جوازنا هذا صلاحاً للمسلمين فسهل علينا هذا البحر حتى نعبره وان كان غير ذلك فصعبه حتى لا نعبره، فسهل الله عز وجل عليهم العبور في اسرع وقت وكان ذلك يوم الخميس عند الزوال منتصف ربيع الاول سنة تسع وسبعين واربعمائة، ونزل بالجزيرة الخضراء فصلى بها الظهر من يومه ذلك ولقيه المعتمد على الله بن عباد صاحب اشبيلية وابن الافطس صاحب بطليوس وغيرهما من ملوك الاندلس([[55]](#footnote-55)).

وفي رواية اخرى : أخذ يوسف بن تاشفين في اهبة العبور الى جزيرة الاندلس وذلك في شهر جمادى الاولى من السنة المذكورة فاستنفر من قدر على استنفاره من القواد واعيان الجند ووجوه قبائل البربر فاجتمع له نحو من سبعة الاف فارس في عدد كثير من الرجال فعبر البحر بعسكر ضخم وكان عبوره من مدينة سبتة فنزل المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء وتلقاه المعتمد بن عباد في وجوه اهل دولته وأظهر من بره واكرامه فوق ما كان يظنه امير المسلمين وقدم اليه من الهدايا والتحف والذخائر الملوكية ما لم يظنه يوسف بن تاشفين عند ملك، فكان هذا اول ما أوقع في نفس يوسف التشوق الى مملكة جزيرة الاندلس ثم قصد شرقي الاندلس وسأله المعتمد بن عباد دخول اشبيلية دار ملكه ليستريح فيها اياماً حتى تزول عنه وعثاء السفر ثم يقصد قصده فأبى عليه وقال: انما جئت ناوياً جهاد العدو فحيثما كـان العدو توجهت وجهه([[56]](#footnote-56)).

ويقال ان المعتمد بن عباد لما بلغه جواز امير المسلمين يوسف بن تاشفين الى الجزيرة الخضراء استعد بالضيافة الحافلة والهدايا الثمينة وقد كان يجمعها ويحتفل فيها، وشرع يوسف بن تاشفين ببناء اسوار الجزيرة الخضراء ورم ما تشعث من ابراجها وحفر الحفير عليها وشحنها بالاطعمة والاسلحة ورتب فيها عسكراُ انتقاه من نخبة رجاله واسكنهم بها ورحل نحو اشبيلية فتلقاه المعتمد بن عباد على مرحلة من الجزيرة فسلم عليه وتصافحا وتعانقا وسأله عن حاله وانبسط معه في الحديث وهنأه ابن عباد بالسلامة ولحقت ضيافاته فعمت جميع المحلة على حال كبرها ، وركب ابن عباد ودار بالمحلة ونظر الى العسكر فرأى عسكراً نقياً ومنظراً بهياً فلم يشك ان ذلك الجمع لا يخلو من بركة وان اللعين الاذفونش لا محالة مهزوم([[57]](#footnote-57)).

وفي رواية اخرى: ان امير المسلمين يوسف بن تاشفين لما عبر الى الجزيرة الخضراء توجه نحو اشبيلية جيشاً بعد جيش واميراً بعد امير وبعث المعتمد على الله بن عباد ابنه الى لقاء يوسف بن تاشفين ، ورأى امير المسلمين من ذلك ما سره وخرج المعتمد الى لقاء يوسف في مائة فارس ووجوه اصحابه والتقيا منفردين وتصافحا وتعانقا واظهر كل منهما المودة والاخلاص وباتوا تلك الليلة فلما صلوا الصبح ركب الجميع واشار امير المسلمين يوسف بن تاشفين على ابن عباد بالتقدم الى اشبيلية ففعل ولم يبق من ملوك الطوائف بالاندلس الا من بادر واعان وخرج وأخرج([[58]](#footnote-58)).

بينت لنا الروايات التاريخية المتقدمة ان امير المسلمين عبر بجيشه الى الجزيرة الخضراء وتلقاه المعتمد بن عباد واهل الاندلس بالترحاب واحسنوا ضيافته واكرموا نزله ورأى امير المسلمين من ابن عباد ما سره، ويبدو ان رغبته بالاستيلاء على جزيرة الاندلس بدأت من هذه الرحلة.

عرف الاذفونش بعبور يوسف بن تاشفين الى الجزيرة الخضراء وهو محاصر سرقسطة([[59]](#footnote-59))فسقط في يديه وانحلت عزائمه فارتحل عن سرقسطة وبعث الى ابن رذمير وهو الملك فانسو الاول ملك اركون والى البرهانس وهو القائد النصراني القشتالي البار فاينيث ، وكان ابن رذمير على مدينة طرطوشة([[60]](#footnote-60)) محاصراً لها والبرهانس على بلنسية([[61]](#footnote-61))فأتياه بجيوشهما فلحقوا به وبعث الى بلاد قشتالة وجليقة وبيونة فأتاه من تلك البلاد من حشود الروم امم لا تحصى فلما اجتمعت للاذفونش جيوش النصارى واستوفت لديه حشودهم ووفودهم ارتحل الى لقاء الامير يوسف بن تاشفين وجيوش المسلمين، وارتحل يوسف من الجزيرة الخضراء قاصداً نحوه وقدم بين يديه قائده أبا سليمان داود بن عائشة في عشرة الاف فارس من المرابطين ، وتقدم ايضاً المعتمد بن عباد امام القائد ابن عائشة مع امراء الاندلس وجيوشهم منهم ابن صمادح صاحب المرية وابن جبوس صاحب غرناطة وابن مسلمة صاحب الثغر الاعلى وابن ذي النون وابن الافطس وابن باديس ، فأمرهم امير المسلمين يوسف بن تاشفين ان يكونوا مع المعتمد بن عباد فتكون محلة الاندلس محلة واحدة ومحلة المرابطين اخراً فتقدم بهم ابن عباد فكانوا اذا قام ابن عباد ورؤساء الاندلس من موضع الى غيره نزله الامير يوسف بمحلته فلم يزالوا على ذلك حتى نزلوا بمدينة طرطوشة فأقاموا بها ثلاثة ايام وكتب منها الامير يوسف بن تاشفين كتاباً الى الاذفونش يدعوه فيه الى الاسلام أو الجزية أو الحرب فلما وصل كتابه الى الاذفونش ادركته الانفة وداخله الكبر، وقال للرسول : قل للامير لا تتعب نفسك انا اصل اليك، فارتحل يوسف بن تاشفين وارتحل الاذفونش حتى نزل بالقرب من مدينة بطليوس ونزل امير المسلمين يوسف بن تاشفين بموضع يعرف بالزلاقة مــن احواز بطليوس([[62]](#footnote-62)).

وفي رواية اخرى: انه لما بلغ الاذفونش خبر عبور الامير يوسف بن تاشفين خرج من طليطلة في اربعين الف فارس غير ما انضم اليه وكتب الاذفونش الى الامير يوسف كتاباً يتهدده واطال الكتاب ، فكتب يوسف بن تاشفين الجواب على ظهر الرقعة وهو: الذي يكون ستراه، ورده اليه ، فلما وقف عليه ارتاع لذلك وقال: هذا رجل حازم([[63]](#footnote-63)).

وذهب بعض المؤرخين الى انه لما جاز امير المسلمين يوسف بن تاشفين البحر نحو الجزيرة الخضراء جمع المعتمد بن عباد عساكره وخرج من اهل قرطبة عسكر كثير وقصده المطوعة من سائر اهل الاندلس ووصلت الاخبار الى الاذفونش فجمع فرسانه وسار من طليطلة وكتب الى امير المسلمين كتاباً كتبه له بعض ادباء المسلمين يغلظ له القول ويصف ما عنده من القوة والعدة والعدد وبالغ الكاتب بالكتاب، فلما قرأه امير المسلمين يوسف بن تاشفين أمر ابا بكر بن القصيرة([[64]](#footnote-64)) ان يجيبه وكان كاتباً مفلقاً فكتب واجاد فلما قرأه على امير المسلمين قال: هذا كتاب طويل احضر كتاب الاذفونش واكتب على ظهره: الذي سيكون ستراه ، فلما عاد الكتاب الى الاذفونش ارتاع لذلك وعلم انه بُلي برجل عظيم له عزم وحزم فازداد استعداداً ([[65]](#footnote-65)) **.**

بلغ الاذفونش بعبور امير المسلمين يوسف بن تاشفين الى الجزيرة الخضراء فجيش جيوشه واستنفر جنوده واستدعى معظم قواده لمواجهة المسلمين ومع اختلاف المؤرخين في عدد مقاتليه الذين بالغوا فيه مبالغةً كبيرة الا انه حشد جيشاً جراراً يفوق جيش المسلمين عدداً وعدةً ومن ثم ارسل كتاباً الى يوسف بن تاشفين مفاخراً بقوته وعدده ويغلظ فيه القول مزدرياً بامير المسلمين فلما وصل الكتاب ليوسف اجابه بجملة واحدة لا غيرها ((الذي سيكون ستراه)) ومع ان امير المسلمين يوسف بن تاشفين يملك من الشجاعة والاقدام ما يجعله اهلاً لهذه الجملة التي اطلقها الا اننا ننبه الى ان هذه الجملة ترددت في كتب التاريخ قبل هذا الزمن بكثير ، فقد ورد ان الخليفة هارون الرشيد لما وصله خطاب ملك الروم اجابه: من امير المؤمنين الى كلب الروم جوابي ما ستراه لا ما تسمعه.

ولسنا في معرض التشكيك بهذه الرواية وانما قد يكون ذلك من باب توارد الخواطر والافكار ومن الممكن ايضاً ان يكون يوسف بن تاشفين قارئ جيد للتاريخ قرأ هذه الجملة في سيرة الرشيد وتأثر بها.

**الاصلاح بين المعتمد وابن رشيق**

توجه امير المسلمين يوسف بن تاشفين الى شرقي الاندلس يقصد ذلك الحصن المحاصر والاصلاح بين المعتمد على الله بن عباد وبين رجل كان قد تغلب على مرسية يقال له ابن رشيق، فاصلح بينهما على ان يخرج ابن رشيق عن مرسية([[66]](#footnote-66))ويعوضه المعتمد عن ذلك مالاً جعله له ويوليه في جهة اشبيلية ولاية فاجابه ابن رشيق الى ذلك وتسلم المعتمد مرسية واعمالها([[67]](#footnote-67)).

سعى امير المسلمين يوسف بن تاشفين للاصلاح بين المعتمد بن عباد وابن رشيق ونجح في مسعاه، وبذلك يكون قد خطى الخطوة الاولى في سبيل تحقيق النصر على النصارى الافرنج وهو الاصلاح بين ملوك الاندلس وتحشيدهم واستنفارهم في معركته القادمة.

كتب امير المسلمين يوسف بن تاشفين الى سائر امراء الاندلس يستنفرهم للجهاد ويستدعيهم للحاق بمحلته فلحق به الامير المظفر أبو محمد عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس صاحب غرناطة واعمالها، واخوه المستنصر تميم صاحب مالقة، وراجع صاحب المرية المعتصم بالله أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح يعتذر بسبب العدو الملاحق له بحصن لييط من اعمال لورقة، ولحق به من وصل من الرماة والاجناد والمتطوعين للجهاد فتلقاهم المتوكل بن الافطس على ثلاث مراحل من بطليوس واحتفل لهم بالتضييف([[68]](#footnote-68)) **.**

ثم استعرض يوسف بن تاشفين جنده على حصن الرقة فرأى منهم ما يسره فقال للمعتمد هلم ما جئنا له من الجهاد وقصد العدو وجعل يظهر التأفف من الاقامة بجزيرة الاندلس ويتشوق الى مراكش ، ويصغر قدر الاندلس ويقول في اكثر اوقاته كان امر هذه الجزيرة عندنا عظيماً قبل ان نراها فلما رأيناها وقعت دون الوصف وهو في ذلك كله يُسر حسواً في ارتغاء([[69]](#footnote-69)) فخرج المعتمد بين يديه قاصداً مدينة طليطلة واجتمع للمعتمد ايضاً جيش ضخم من اقطار الاندلس وانتدب الناس للجهاد من سائر الجهات وامد ملوك الجزيرة يوسف بن تاشفين والمعتمد بن عباد بما قدروا عليه من رجال وسلاح فتكامل عدد المسلمين من المتطوعة زهاء عشرين الفاً([[70]](#footnote-70)).

**المخاطبات بين ابن تاشفين والاذفونش**

كان بين امير المسلمين يوسف بن تاشفين والاذفونش ملك قشتالة قبل هذا مخاطبات منها ان امير المسلمين لما دنا من بطليوس على مقربة من بطحاء الزلاقة([[71]](#footnote-71))قدم اليه كتاباً على مقتضى السنة يعرض عليه فيه: الدخول في الاسلام أو الجزية أو الحرب ومن فصوله: وقد بلغنا يا اذفنش انك دعوت الى الاجتماع بك وتمنيت ان تكون لك فلك تعبر البحر عليها الينـا ، فقد اجتزناه اليك وجمع الله في هذه العرصة بيننا وبينك وسترى عاقبة دعائك، " وما دعاء الكافرين الا في ضلال"([[72]](#footnote-72)) ، فلما وصل الكتاب الى الاذفونش وقرأ ماكتب به اليه جاش بحر غيظه وزاد في طغيانه وكفره وقال: ابمثل هذه المخاطبة يخاطبني وأنا وأبي نأخذ الجزية من اهل ملته منذ ثمانين سنة ، وأقسم ان لا يبرح من مكانه الذي نزل فيه وقال: يزحف الي فاني اكره ان القاه قرب مدينة تعصمه وتمنعني منه فلا اشفي نفسي بقتله ولا ابلغ املي فيه، بيني وبينه هذا البسيط المتسع فأعلم السفراء امير المسلمين يوسف بن تاشفين بأنتخائه وما اظهر من طغيانه وكبريائه([[73]](#footnote-73)).

وروي ان امير المسلمين يوسف بن تاشفين نزل بموضع يقال له الزلاقة من احواز بطليوس وتقدم المعتمد بن عباد وامراء الاندلس فنزلوا بجهة اخرى بينهما ربوة جاهزة ترهيباً للعدو وتخويفاً له وبين الفريقين وعسكر الروم نهر بطليوس حاجز يشرب منه هؤلاء وهؤلاء فاقاموا ثلاثة ايام والرسل تختلف بينهم الى ان اتفق رأيهم ان تكون الملاقاة بينهم يوم الاثنين الرابع عشر من شهر رجب سنة تسع وسبعين واربعمائة الموافق السادس والعشرين من اكتوبر سنة ست وثمانين والف([[74]](#footnote-74)).

سبق وان تناولنا الرسالة التي وجهها الاذفونش الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين وتمنى فيها لقاؤه وتحداه وسخر منه متهماً اياه بالجبن لانه ابطئ في الجواز الى الاندلس ، فلما عبر يوسف واجرى استعداداته الاولى ووزع الادوار على قواده ثم سار بجيشه نحو عدوه وجه رسالته الى الاذفونش وفقاً لاحكام الشريعة فعرض عليه الاسلام أو الجزية أو الحرب.

**الاستعداد للمعركة**

وكان الاذفونش قد استنفر الصغير والكبير ولم يدع في اقاصي مملكته من يقدر على النهوض الا استنهضه وجاء يجر الشوك والشجر وانما كان مقصوده الاعظم قطع تشوق البرابرة عن جزيرة الاندلس، فاما ملوك الاندلس فلم يكن منهم احد الا يؤدي اليه الاتاوة وهم كانو احقر في عينيه وأقل من يحتفل لهم، ولما تراءى الجمعان من المسلمين والنصارى رأى يوسف بن تاشفين واصحابه امراً عظيماً هالهم من كثرة عدد وجودة سلاح وخيل وظهور قوة الطرف المقابل فقال للمعتمد: ما كنت اظن هذا الخنزير لعنه الله يبلغ هذا الحد، عندها جمع امير المسلمين يوسف بن تاشفين اصحابه وندب اليهم من يعظهم ويذكرهم بالاخرة فظهر منهم صدق النية والحرص على الجهاد واستسهال الشهادة في سبيل الله مما سُر به يوسف بن تاشفين والمسلمون([[75]](#footnote-75)) .

رويَ ان الاذفونش لما تحقق من جواز امير المسلمين يوسف بن تاشفين ةاستنفر جميع اهل بلاده وما يليها وما وراءها ورفع القسيسون والرهبان والاساقفة صلبانهم ونشروا اناجيلهم فاجتمع له من الجلاقة والافرنجة وما يليهم ما لا يحصى عدده وجعل يصغي الى انباء المسلمين متغيظاً على ابن عباد حانقاً عليه متوعداً له، وجواسيس كل فريق تتردد بين الجميع وبعث الاذفونش الى ابن عباد فقال : ان صاحبكم يوسف بن تاشفين قد تعنى من بلاد بعيدة وخاض البحور وأنا اكفيه العناء فيما بقي لاولا اكلفكم تعباً انا امضي اليه والقاكم في بلادكم رفقاً بكم وتوفيراً عليكم، وقال لاهل وده ووزرائه : اني رأيت ان امكنتهم من الدخول الى بلادي فناجزوني بين جدرانها ربما كانت الدائرة عليَ فيكتسحون البلاد ويحصدون من فيها في غداة واحدة لكن اجعل يومهم معي في حوز بلادهم فان كانت عليَ اكتفوا بما نالوه ولم يجعلوا الدروب وراءهم الا بعد اهبة اخرى فيكون في ذلك صون لبلادي وجبر لمكاسري، وان كانت الدائرة عليهم كان مني فيهم وفي بلادهم ما خفت انا ان يكون منهم في وفي بلادي اذا ناجزوني في وسطها ثم برز بالمختار من انجاد جموعه على باب دربه وترك بقية جموعه خلفه وقال حين نظر الى ما اختاره من جموعه: بهؤلاء اقاتل الجن والانس وملائكة السماء، فالمقلل يقول كانوا اربعين الفاً ، واتفق الكل ان عدة المسلمين كانت اقل من عدة النصارى([[76]](#footnote-76)).

استنفر الاذفونش النصارى لهذه المعركة الحاسمة ورفع القساوسة والرهبان صلبانهم ونشروا اناجيلهم واستنهضوا الهمم وحشدوا من الفرسان والمقاتلين ما لا يحصى عدده، واتخذ ملك الافرنج الصليب شعاراً له لاول مرة، فلم يثبت تاريخياً ان احد القادة النصارى ارتدى الصليب قبله واتخذه شعاراً له وبذلك أخذ البعد الديني مداه وتجمعت الجيوش النصرانية حول الصليب وبذلك كانت هذه الحرب صليبية بامتياز ولم نبالغ اذا قلنا انها زرعت الجذور الاولى للحروب الصليبية التي بدأت في الشرق الاسلامي.

**رؤيا الاذفونش**

قبل خروج الاذفونش الى هذا اللقاء رأى رؤيا قبل موقعة الزلاقة بشهر وذلك انه رأى في النوم في بعض الليالي كأنه راكب على فيل والى جانبه طبل معلق وهو يضربه فأستيقظ فزعاً مذعوراً فلما اصبح بعث الى الاساقفة من النصارى واحبار اليهود وقال لهم: اني رأيت رؤيا افزعتني وذكر لهم نصها وقال لهم: ما هالني ولا افزعني الا ان الفيل ليس في بلادنا ولا هو بقربها ولا عايناه قبل فمن اين لنا به ثم ان الطبل ما هو من شكلنا ولا من زينا فمن اين لنا به؟ فانظروا في تأويل هذه الرؤيا وفسروها لي ، فقد افزعتني ما عاينت منها فقال له القسيسون والاحبار: ايها الملك تدل رؤياك على انك تهزم جميع المسلمين وتغنم اموالهم وتسبي محلتهم وتأخذ بلادهم وترجع الى وطنك عزيزاً مظفراً واما الفيل الذي تركبه فهذا هو الملك القادم صاحب البر الكبير المشترط لقاءك تركبه برغم انفه وتذلله فمثل لك بالفيل لعظمه ولكون الفيل من الصحراء وهذا من الصحراء ـ يعنون امير المسلمين يوسف بن تاشفين ـ مُثل لك به، فقال لهم: نفسي تحدثني وهي صادقة انكم في تفسيركم لمنامي على باطل وما تعرفون شيئاً ثم رد رأسه الى جماعة المسلمين ممن حضر مجلسه من بقايا الساكنين ببلاده فقال لهم: اتعلمون هنا احداً من علماء المسلمين ؟ فقالوا له: نعم هنا رجل من فضلاء المسلمين وعلمائهم ويعرف بمحمد بن عيسى المغامي ([[77]](#footnote-77))يقرئ في مسجده كثيراً من فقهاء المسلمين فقال لبعض منهم: انطلقوا اليه واتوني به فانطلقوا وقالوا له ان الملك يدعوك فقال : وما حاجته بي فقلوا له: انه رأى رؤيا افزعته وقد فسرها له اساقفة النصارى واحبار اليهود فلم يرض بقولهم ولا صدقهم فقال لهم: والله لا اتي كافراً ابداً فقالوا له: اتق الله على نفسك من سطوته فقال لهم: ان الله وليي وحافظي والخير والشر بيده فطمعوا به ليصل اليه فأبى ، ورجعوا الى الاذفونش فقال لهم: واين الرجل الذي توجهتم اليه؟ فحسنوا له اللفظ واعتذروا عنه وقالوا له: ايها الملك ان الرجل عابد ورع ونحن المسلمين عبادنا ما يرون في دينهم ان يغشوا ابواب الملوك فان رأى الملك ان يلقي الينا من الكلام ما نأتي به من عنده بجواب شاف فقال لهم: كنت ارى كذا وكذا، وقص عليهم رؤياه فانطلقوا الى الفقيه ابي عبد الله المغامي فوجدوه يقرأ بمسجده داخل طليطلة مع من بقى من فقهائها من المسلمين، فقصوا عليه الرؤيا وقالوا له : تدبرها في نفسك حتى تلقي الينا نص تفسيرها له، فقال لهم الفقيه : الامر فيها قريب اعلموه انه سيهزمه المسلمون هزيمة قبيحة يخرج منها مفلولاً في نفر يسير من اصحابه والدليل على ذلك من كتاب الله العزيز في قوله تعالى "الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل. الم يجعل كيدهم في تضليل. وأرسل عليهم طيراً ابابيل. ترميهم بحجارة من سجيل"([[78]](#footnote-78)) عنى بها الباري عز وجل ابرهة الحبشي واما الطبل الذي كان يضربه فمن قوله تعالى:"فاذا نقر في الناقور . فذلك يومئذ يوم عسير. على الكافرين غير يسير([[79]](#footnote-79))" فرجعوا اليه واعلموه بنص ما عبر لهم فقطب وجهه وقال: ودين المسيح لأن كذب لامثلن به فبلغ الخبر الى الفقيه المغامي فقال: والله ما يقدر على ذرة الا باذن الله وقضائه وأنا واثق بالله ربي ولا قوة الا بالله العلي العظيم([[80]](#footnote-80)).

وفي رواية اخرى : رأى الاذفونش في نومه كأنه راكب على فيل فضرب نقيرة طبل فهالته رؤياه وسأل عنها القساوسة والرهبان فلم يجبه احد ، ثم ارسل يهودياً ليسأل من يعلم تأويلها من المسلمين فدل على عابر فقصها عليه ونسبها لنفسه فقال له العابر: كذبت ما هذه الرؤيا لك ولا بد ان تخبرني عن صاحبها والا لم اعبرها لك، فقال اكتم ذلك هو الاذفونش فقال العابر: قد علمت انها رؤياه ولا ينبغي ان تكون لغيره وهي تدل على بلاء عظيم ومصيبة فادحة تؤذن بصلبه عما قريب، اما الفيل فقد قال الله تعالى:" الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل"، واما ضرب النقيرة فقد قال تعالى:" فاذا نقر في الناقور" فانصرف اليهودي الى الاذفونش ولم يفسرها له([[81]](#footnote-81)).

وروى ابن الاثير: ان الاذفونش رأى في منامه كأنه راكب فيل وبين يديه طبل صغير وهو ينقر فيه فقص رؤياه على القسيسين والرهبان فلم يعرفوا تأوليها فأحضر رجلاً مسلماً عالماً بتأويل الرؤيا فقصها عليه فاستعفاه من تعبيرها فلم يعفه فقال: تأويل هذه الرؤيا من كتاب الله العزيز وهو قوله تعالى "الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفبل"، و"فاذا نقر في الناقور" وهذا يقتضي هلاك الجيش([[82]](#footnote-82)).

تناول اغلب المؤرخين رؤيا الاذفونش ومع انهم اختلفوا في تفاصيلها وتؤيلها الا انهم اتفقوا جميعاً ان الاذفونش رأى في نومه ما ازعجه وخاف منه فطلب تؤيلها من الاساقفة والرهبان فأولوها في صالحه لكنه لم يطمئن لتأويلهم، واجتهد ان يؤلها له عـالم من المسلمين ، وسرعان ما صُدم من تأويل العالم المسلم عندما علم انها بالضد مما كان يتمنى ويرجو، ومن المحتمل انه قد صاحب هذه الرواية بعض المبالغات والاضافات لكنها تؤدي الى نتيجة واحدة ان الاذفونش رأى رؤيا عرف منه ان الهزيمة واقعة لا محالة.

**تقدم امير المسلمين**

لما توجه الاذفونش الى الجهة الغربية من بلاد الاندلس تقدم امير المسلمين يوسف بن تاشفين فقصده وتأخر المعتمد بن عباد لبعض الامر ثم انزعج يقفو اثره بجيش فيه حماة الثغور ورؤساء الاندلس وجعل ابنه عبد الله على مقدمته وهو يتفاءل لنفسه وينشد البيت المشهور:

لا بد من فرج قريب يأتيك بالعجب العجيب

غزو عليك مبارك سيعود بالفتح القريب

لله سعدك انه نكس على دين الصليب

لا بد من يوم يكو ن اخاً له يوم القليب([[83]](#footnote-83))

انشد المعتمد هذه الابيات الشعرية وتغنى بانتصار المسلمين يوم القليب وهو يوم غزوة بدر الكبرى، وتمنى ان يحققوا الانتصار على النصارى في هذه المعركة كما حققوه على المشركين يوم بدر.

ووافت الجيوش كلها بطليوس فاناخوا بظاهرها وخرج اليهم صاحبها المتوكل عمر بن محمد فلقيهم بما يجب وبالاقوات والضيافات وبذل جهوده ثم جاءهم الخبر بشخوص الاذفونش اليهم ولما ازدلف بعضهم الى بعض اذكى المعتمد عيونه في محلات الصحراويين خوفاً عليهم من مكائد الاذفونش اذ هم غرباء لا علم لهم بالبلاد، وجعل يتولى ذلك بنفسه حتى قيل ان الرجل من الصحراويين كان يخرج عن طرق محلاتهم لبعض شأنهم أو لقضاء حاجته فيجد المعتمد بن عباد بنفسه مطيفاً بالمحلة بعد ترتيب الكراديس من خيل على افواه طرق محلاتهم فلا يكاد الخارج منهم عن المحلة يخطئ ذلك من لقاء ابن عباد لكثرة تطوافه عليهم([[84]](#footnote-84)).

لما كتب امير المسلمين يوسف بن تاشفين الى الاذفونش يدعوه الى الاسلام أو الجزية أو الحرب امتلأ غيظاً وراجعه بما دل على شقائه وقامت الاساقفة والرهبان فرفعوا صلبانهم ونشروا اناجيلهم وخرجوا فتبايعوا على الموت، ووعظ يوسف بن تاشفين والمعتمد بن عباد اصحابهما وقام الفقهاء والعباد يعظون الناس ويحضونهم على الصبر ويحذرونهم الفرار وجاءت الطلائع تخبر ان العدو مشرف عليهم صبيحة يومهم وهو يوم الاربعاء فاصبح المسلمون وقد اخذوا مصافهم، ورجع الاذفونش الى اعمال الخديعة والمكر وبعث لابن عباد يقول: غداً يوم الجمعة وهو عيدكم وبعده الاحد وهو عيدنا فليكن لقاؤنا بينهما وهو يوم السبت فاخبر المعتمد بن عباد امير المسلمين يوسف بن تاشفين بانها خديعة انما يريد غدر المسلمين فلا تطمئن اليه وليكن الناس على استعداد له طول يوم الجمعة وفي تلك الليلة وابن عباد مواظب على احتراس جميع المحلات خائفاً عليه من كيد العدو([[85]](#footnote-85)).

وفي خضم ذلك وبعد هزيع من الليل انتبه الفقيه الناسك أبو العباس أحمد بن رميلة القرطبـي ([[86]](#footnote-86)) وكان في محلة ابن عباد فرحاً مسروراً يقول انه رأى النبي محمد صلى الله عليه وسلم فبشره بالفتح والشهادة له في صبيحة الغد وتأهب ودعا ودهن رأسه وتطيب وانتهى ذلك الى المعتمد بن عباد فبعث الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين يخبره بهذه الرؤيا([[87]](#footnote-87)) **.**

**تحديد يوم المعركة**

**ا**ستعد الاذفونش للقاء المسلمين وتأهب وحشد واحتفل في الاستعداد وخرج معه ثمانون الف فارس لابسين الدروع دون غيرهم حتى انتهى الى فحص الزلاقة وكان عسكر المسلمين يناهز الخمسين الف فارس، اربعة وعشرون الفاً من فرسان الاندلسيين ما بين مدرع ولابس ومثلها أو اكثر منها مرابطون وأهل العدوة، ولما احتلت عساكر المسلمين بظاهر بطليوس احتل الاذفونش فحص الزلاقة على اربعة فراسخ من بطليوس كتب الى امير المسلمين مكراً منه يقول : ان غداً يوم الجمعة ولا نحب مقاتلتكم فيه لانه عيدكم وبعده السبت يوم عيد اليهود وهم كثيرون في محلتنا ونحن نفتقر اليهم وبعده الاحد عيدنا فتحرم هذه الأعياد ويكون اللقاء يوم الاثنين فقال امير المسلمين : اتركوا اللعين وما احب، حدث ابو محمد عبد العزيز بن الامام احد خواص المعتمد بن عباد قال: كنت في عسكره عند توجهه مع يوسف بن تاشفين الى لقاء الطاغية اذفونش في غزوة الزلاقة وهي اول غزوة غزاها المرابطون بالاندلس وكان الناس يرحلون برحيل امير المسلمين وينزلون بنزوله تقديماً له ورعياً لمكانه من السن وعظم الملك ووفور العدد وجودة الرأي وكمال العقل سمعنا طبوله تضرب، وقبل ان يتقدم امير المسلمين الى لقاء العدو أمر المعتمد بن عباد منجمه بتحقيق طالع الوقت والنظر فيه، قال : فوجده بحسب ما تقتضيه اصول تلك الصنعة دالاً على ان الدائرة على المسلمين وان الظفر والغلبة للمشركين، قال: فأشفق المعتمد من ذلك وكره اعلام امير المسلمين بذلك لنفوره من الاستدلال بالنجوم والتظاهر بها ولم يمكنه غير مساعدته والانتقال معه فبينما هو يحاول ذلك اذ خفتت الاصوات وهدأت الضجة وجاء من اخبر ان امير المسلمين قد بدأ في الانتقال من مناخه، فلما كان بعد ساعة من ذلك اليوم بعينه عادت الاصوات وضربت الطبول فأمر ابن عباد منجمه بأخذ طالع الوقت والنظر فيه فوجده اوفق طالع واسعد له وأدلها على الظفر للمسلمين والدائرة على المشركين حسبما جرى الامر عليه، قال: فتعجبت من ذلك ومن قوة سعد يوسف بن تاشفين وقال هذا من المصنوع لهم المعتنى بأمرهم الملهمين الى رشدهم الذين يدبر لهم التوفيق ويخدمهم البخت وذلك كله بمشيئة الله تعالى وسابق علمه ونافذ حكمه([[88]](#footnote-88)).

ولما رأى الاذفونش كثرة جيشه واعجبه ذلك المنظر احضر المعبر الذي عبر له الرؤيا التي رأها وقال له: بهذا الجيش القى اله محمد صاحب كتبكم، فانصرف المعبر وقال لبعض المسلمين هذا الملك هالك وكل من معه وذكر قول الرسول (ثلاث مهلكات) الحديث وفيـه

( واعجاب المرء بنفسه) ([[89]](#footnote-89))، وقيل لامير المسلمين يوسف بن تاشفين ان المعتمد بن عباد ربما لم ينصح ولا يبذل نفسه دونك فأرسل عليه امير المسلمين يأمره ان يكون في المقدمة ففعل ذلك وسار وقد ضرب الاذفونش خيامه في لحف جبل والمعتمد بن عباد في سفح جبل يتراؤن، وينزل امير المسلمين وراء الجبل الذي عنده المعتمد وظن الاذفونش ان عساكر المسلمين ليس الا الذي يراه وكان الافرنج في خمسين الفاً فتيقنوا الغلب وارسل الاذفونش الى المعتمد في ميقات المعركة وقال له: غداً الجمعة وبعده الاحد فيكون اللقاء يوم الاثنين فقد وصلنا على حال تعب واستقر الامر على هذا([[90]](#footnote-90)).

وفي رواية اخرى كان ترائيهم يوم الخميس وهو الثاني عشر من شهر رمضان فاختلفت الرسل بينهم في تقرير يوم الزحف ليستعد الفريقان فكان من قول الاذفونش الجمعة لكم والسبت لليهود وهم وزراؤنا وكتابنا واكثر خدم العسكر منهم فلا غنى بنا عنهم والاحد لنا فاذا كان يوم الاثنين كان ما نريده من الزحف وقصد لعنه الله مخادعة المسلمين واغتيالهم فلم يتم له ما قصد فلما كان يوم الحمعة تأهب المسلمون لصلاة الجمعة ولا امارة عندهم للقتال وبنى يوسف بن تاشفين الامر على ان الملوك لا تغدر فخرج هو واصحابه في ثياب الزينة للصلاة فاما المعتمد فانه اخذ بالحزم فركب هو واصحابه شاكي السلاح وقال لامير المسلمين صل في اصحابك فهذا يوم ما تطيب نفسي فيه وها انا من وراءكم وما اظن هذا الخنزير الا اضمر الفتك بالمسلمين([[91]](#footnote-91)).

**بدأ المعركة**

ولما وقع الاتفاق بين الخصمين على يوم الملاقاة وهو يوم الاثنين الرابع عشر من شهر رجب سنة تسع وسبعين واربعمائة بعث المعتمد بن عباد الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين يعلمه ان يكون على أهبة الاستعداد للحرب وان العدو صاحب مكر وخديعة فلما كان الليل من يوم الخميس العاشر لرجب المذكور عبأ ابن عباد كتائبه وصف جيوشه واستعد للقتال وجعل على عسكر العدو عيوناً على خيل سبق يأتونه باخبارهم وما يرونه من حركاتهم فلم يزل كذلك الى الفجر من يوم الجمعة فبينما ابن عباد في اخر ركعة من صلاة الصبح وكان قد غلس بالصلاة اذ أقبلت الخيل التي كانت طليعة على العدو مسرعة اليه فأخبروه ان العدو قد زحف نحو المسلمين في امم كالجراد المنتشر فأرسل في الحين بالخبر الى امير المسلمين فوجدوه على أهبة للحرب قد عبأ كتائبه طول ليلته لم ينم احد في محلته تلك الليلة فأرسل قائده المظفر داود بن عائشة في جيش عظيم من لمتونة ووجوه المرابطين واقيالهم ليكونوا طليعة لهم، وكان داود بن عائشة لا نظير له في العزم والحزم والنجدة وكان عدو الله الاذفونش قد قسم جيشه الى فرقتين فتوجه هو وفرقة نحو امير المسلمين يوسف بن تاشفين فوقع في الجيش الذي كان مع القائد المظفر داود بن عائشة([[92]](#footnote-92)).

وفي الليل جاء فارسان من طلائع المعتمد بن عباد يخبران انهما اشرفا على محلة الاذفونش وسمعا ضوضاء الجيوش واضطراب الاسلحة ثم تلاحق بقية الطلائع محقيقين بترك الاذفونش يقولون: استرقنا السمع الساعة فسمعنا الاذفونش يقول لاصحابه: ابن عباد مسعر هذه الحروب وهؤلاء الصحراويون وان كانوا اهل حفاظ وذوي بصائر في الجهاد غير عارفين بهذه البلاد وانما قادهم ابن عباد فاقصدوا واهجموا عليه وان انكشف لكم هان عليكم هؤلاء الصحراويون بعده ولا ارى ابن عباد يصبر لكم ان صدقتموه الحملة وعند ذلك بعث ابن عباد كاتبه ابا بكر بن القصيرة يطوي المحلات ليعرف امير المسلمين جلية الامر، وأمر يوسف بن تاشفين قواده ان يمضي بكتيبة رسمها له حتى يدخل محلة النصارى فيضرمها ناراً ما دام الاذفونش مشتغلاً مع المعتمد بن عباد ثم حميت الحرب بينهما ومال الاذفونش على المعتمد بجموعه وأحاطوا به من كل جهة فاستحر القتل فيهم وصبر المعتمد صبراً لم يعهد مثله لاحد، واستبطأ قدوم امير المسلمين يوسف بن تاشفين وهو يلاحظ طريقه وعضته الحرب واشتد البلاء وابطأ عليه الصحراويون وساءت ظنون اصحابه وانكشف بعضهم وفيهم ابنه عبدالله واثخن ابن عباد جراحات وضُرب على رأسه ضربة فلقت هامته حتى وصلت الضربة الى صدغه وجرحت يمنى يديه وطعن في احد جانبيه وعقرت تحته ثلاثة افراس كلما هلك واحد قُدم له اخر وهو يقاسي حياض الموت يضرب يميناً وشمالاً وتذكر في تلك الاثناء ابناً له صغيراً كان مغرماً به تركه باشبيلية عليلاً اسمه المعلى وكنيته ابو هاشم فقال:

ابا هاشم هشمتني الشفار فلله صبري لذلك الاوار

ذكرت شخيصك تحت العجاج فلم يثنني ذكره للفرار([[93]](#footnote-93))

وفي رواية اخرى: لما كان يوم الجمعة الثاني عشر لرجب الفرد سنة تسع وسبعين واربعمائة استعد الاذفونش للقاء المسلمين ليأخذهم على حين غفلة غدراً منه فارتقى في ربوة مع جماعة من زعماء قومه ليبصروا اعداد جيوشه فأعجبه ما رأى من كثرتهم ولمعان دروعهم فقال لابن عمه غرسية هذا اليوم لنا فيه الغلبة على المسلمين فقال غرسية: ان كان سبق لك بذلك القضاء فقال: انا الغالب سبق أو لم يسبق فقال له : ابن عمه اني لا احضر معك هذا اللقاء واعتزل بناسه ـ وكانو نحو الف فارس ـ فعند ذلك تقدم بجيشه قاصداً محلة المسلمين فأقبلت طلائع ابن عباد تنادي وتقول: ان النصارى في اذيالنا والناس على طمأنينة وقد كانوا اتفقوا على ان يكون المعتمد بن عباد في قلب المقدمة والمتوكل بن الافطس في ميمنتها وأهل شرق الاندلس في ميسرتها وسائر أهل الاندلس في الساقة والمرابطون واهل العدوة كمائن متفرقة تخرج من كل جهة عند اللقاء فلما أعلم ابن عباد بقدوم الطاغية عليه بادر الركوب على غير تعبئة ولا أهبة وغشيتهم خيل العدو كالسيل وعمتهم كقطع الليل وظنوا انها لا تدفع فوافق ابن عباد في طريقه باهل اشبيلية وسائر عماله فوقعت بينهم حروب صعبة كانت الدائرة فيها على أهل اشبيلية استأثر الله فيها بارواح شهدت لها الرحمة وخطبتها الجنة وخرج المعتمد بن عباد بجراحات وابلى في ذلك اليوم بلاءً حسناً وانشد شعراً قاله في اثناء المعركة يذكر ابنه زين الدولة المعلى ابا هاشم

ابا هاشم هشمتني الشفار فلله صبري لذلك الاوار

ذكرت شخيصك تحت العجاج فلم يثنني ذكره للفرار

ثم ثاب العسكر من المسلمين لانفسهم وحملوا على محلة الاذفونش حملة صادقة وقد كان امير المسلمين يوسف بن تاشفين على حين غفلة ولم يكن عنده علم بما وقع اذ كانت محلته بعيدة عن محلة ابن عباد حتى بعث اليه ابن عباد كاتبـــه ابن القصيرة فأخبره فركب ولحق به زعماء لمتونة وكبراء صنهاجة وسائر عسكره فقصد بهم محلة الطاغية فاقتحمها فاضرمها ناراً وضرب طبوله فاهتزت له الارض وتجاوبت الافاق فارتاعت قلوبهم وتجلطت افئدتهم ورأوا النار تشتعل في محلتهم واتاهم الصريخ بهلاك اموالهم واخبئتهم فسقط في ايديهم فثنوا اعنتهم ورجعوا قاصدين محلتهم فالتحمت الفئتان واختلطت الملتان واشتدت الكرات وعظمت الهجمات والحروب تدور على اللعين تطحن رؤوس رجاله ومشاهير ابطاله وتقذف بخيلهم عن يمينه وشماله وتداعى الاجناد والحشم والعبيد للنزال والترجل عن ظهور الخيل ودخول المعترك فأمد الله عز وجل المسلمين بنصره وقذف الرعب في قلوب المشركين وتحصلوا بين عسكر ابن عباد وعسكر ابن تاشفين وفي اثناء ذلك تلاقى الطاغية غلام اسود بيده خنجر يدعوه البرابر بالافطس طعنه في فخذه فكان الاذفونش يقول بعد ذلك التحق بي غلام اسود فضربني في الفخذ بمنجل اراق دمي فتخيل له منجل لكونه رآه معوجاً ففر امامه وسيوف المسلمين تتبعه حتى الجأوه الى ربوة عالية اعتصم بها لتعذر مرتقاها فقال لهم امير المسلمين يوسف بن تاشفين: الكلب اذا أرهق لا بد ان يعض وقد سلم الله المسلمين من معرته ولم يُقتل منهم الا القليل فان هجمنا على هؤلاء ابلوا بلاءً عظيماً ولكن اتركوهم ولاحظوا حالهم فلما جن الليل فروا واصبحوا يوم السبت فلم يوجد لهم اثر ثم ثنى امير المسلمين عنانه فنزل الناس بنزوله وقد ابان الله بصارمه تلك الشوكة واستأصل اولئك الجموع المشركة ولم يفلت منهم اكثر من اصحاب غرسية الذي اعتزل عن القتال وهم نحو اربعمائة([[94]](#footnote-94)).

اما ابن الاثير فيقول: ركب الاذفونش ليلة الجمعة سحراً وصبح بجيشه جيش المعتمد بن عباد بكرة الجمعة غدراً وخديعةً وظناً منه ان ذلك المخيم هو جميع عسكر المسلمين فوقع القتل بينهم فصبر المسلمون فاشرفوا على الهزيمة وكان المعتمد قد ارسل الى امير المسلمين يعلمه بمجئ الافرنج فسار اليها فبينما هم في القتال وصل امير المسلمين الى خيام الافرنج فاحرقها ونهبها وقتل من فيها فلما رأى الافرنج ذلك لم يتمالكوا ان انهزموا واخذهم السيف وتبعهم المعتمد من خلفهم ولقيهم امير المسلمين من بين يديهم ووضع فيهم السيف فلم يفلت منهم احد ونجا الاذفونش في نفر يسير وجعل المسلمون من رؤوس القتلى اكواماً كثيرة فكانوا يؤذنون عليها الى ان جيفت فأحرقوها فكانت الموقعة يوم الجمعة في العشر الاول من شهر رمضان سنة تسع وسبعين واربعمائة، واصاب المعتمد جراحات في وجهه وظهرت في هذا اليوم شجاعته([[95]](#footnote-95)).

اختلف المؤرخون في تحديد اليوم الذي وقعت فيه معركة الزلاقة، فذهب اكثرهم الى انها وقعت في شهر رجب سنة تسع وسبعين واربعمائة، وذهب البعض الاخر ومنهم ابن الاثير والمراكشي الى انها وقعت في شهر رمضان من السنة المذكورة ، وقال ابن خلكان : انها وقعت في شهر رمضان ولكنه استدرك وقال: الصحيح انها وقعت في شهر رجب ، وعند تحقيقنا لكلا الرأيين نجد ان اصحاب الرأي الاول اولى بالصواب لان المؤرخين الاندلسيين قالوا بذلك وهم اقرب مكاناً الى الحدث كما تقضي قواعد المنهج العلمي في البحث التاريخـي ، ووفقاً لذلك لا يمكننا أخذ رواية المشارقة ورفض رواية الاندلسين ، حتى انهم حددوها بيوم الجمعة الثاني عشر من شهر رجب .

**التحام الصفوف**

التحمت الصفوف واشتبك الفريقان واقتتلوا قتالاً عظيماً وصبر المرابطون صبراً جميلاً وداسهم الاذفونش بكثرة جنوده حتى كاد يستأصلهم وكانت بينه م مضاربة تفللت فيها السيوف وتكسرت الرماح وسارت الفرقة الثانية من عسكر اللعين مع البرهانس وابن رذمير نحو محلة ابن عباد فداسوها واستمرت الهزيمة على رؤساء الاندلس الى جهة بطليوس ولم يثبت منهم غير المعتمد بن عباد وجيشه فانهم ثبتوا في ناحية يقاتلون لم ينهزموا وقاتلوا قتالاً شديداً وصبروا صبر الكرام لحرب اللئام فاتصل الخبر ليوسف بن تاشفين ان الهزيمة قد استمرت على عسكر امراء الاندلس وان المعتمد بن عباد والقائد داود ابن عائشة صابران يقاتلان لم ينهزما فبعث قائده سيري بن ابي بكر في قبائل المغرب وزناتة والمصامدة وغمارة وسائر قبائل البربر الذين كانوا في محلته اعانة لداود بن عائشة وابن عباد ، وسار امير المسلمين وهو يقود جيش لمتونة وقبائل المرابطين من صنهاجة قاصداً الى محلة الاذفونش حتى ضرب فيها والاذفونش مشتغل بقتال داود فاضرمها ناراً واحرقها وقتل من كان فيها من الابطال والرجال والفرسان الذين تركهم الاذفونش بها يحرسونها ويحمونها وفر الباقون والرجال منهزمين نحو ملكهم فأقبلت عليه خيله من محلته فاريبن وامير المسلمين يوسف في اثرهم بساقته وطبوله وبنوده، وجيوش المرابطين بين يديه يحكمون في الكفرة سيوفهم ويرونها من دمائهم فقال الاذفونش ما هذا؟ فأخبر الخبر بحرق محلته ونهبها وقتل حماتها وسبي حريمها فرد وجهه الى قتاله وصمم امير المسلمين نحوه فانتشبت الحرب بينهما فكانت بينهما حروب عظيمة لم يسمع قط بمثلها وكان امير المسلمين على فرس انثى يمر بين صفوف المسلمين يحرضهم ويقوي نفوسهم على الجهاد والصبر ويقول : يا معشر المسلمين اصبروا لجهاد اعدائكم اعداء الله الكافرين فمن رزق منكم الشهادة فله الجنة ومن سلم فقد فاز بالاجر العظيم والغنيمة، فقاتل المسلمون قتال من يطلب الشهادة ويرغب في الموت وكان المعتمد واصحابه الذين ثبتوا معه قد يئسوا من الحياة ولا علم لهم بالحال اذ نظروا الى الروم منهزمين على اعقابهم ناكصين فظنوا انهم الذين هزموهم فقال لاصحابه شدوا على اعداء الله تعالى فشدوا عليهم وحمل القائد سيري بن ابي بكر بمن معه من قبائل المغرب وزناته والمصامدة وغمارة فاستمرت الهزيمة على الافرنج([[96]](#footnote-96)).

ورجعت الطائفة المنهزمة من المسلمين نحو بطليوس لما عرفوا ان امير المسلمين قد ظفر بالافرنج وتدارك الناس بعضهم ببعض طائفة بعد طائفة وفوجاً بعد فوج واشتد القتال على الاذفونش حتى أيقن بالفناء ولم يزل القتال يشتد عليه الى غروب الشمس فلما رأى ان الليل قفد اقبل واكثر جنوده قد قُتل ورأى صبر المرابطين وصدق نيتهم في جهادهم علم انه لا طاقة له بقتالهم ففر مهزوماً على وجهه في نحو الخمسمائة فارس على غير طريق وركبهم المرابطون بالسيف يقتلونهم في كل فج وسهل ويلتقطونهم التقاط الحمام للحب القليل الى ان حال الليل بظلمته بينهم وبات المسلمون تلك الليلة على خيولهم يقتلون ويأسرون ويغنمون ويشكرون الله تعالى على ما منحهم حتى اصبح فصلوا صلاة الصبح في وسط المقتلة وكانت هذه الهزيمة العظيمة على الاعداء الكفرة من اعظم الوقائع([[97]](#footnote-97)).

وفي رواية اخرى:

بدأت الحرب وكان اول من وافى المعتمد بن عباد من قواد ابن تاشفين داود بن عائشة وكان بطلاً شهماً فنفس بمجيئه عن ابن عباد ثم اقبل امير المسلمين يوسف بن تاشفين بعد ذلك بطبوله تصدع الجو فلما ابصره الاذفونش وصدمهم بجمعه فردهم الى مركزهم وانتظم به شمل ابن عباد واستنشق ريح الظفر وتباشر بالنصر ثم صدقوا جميعاً الحملة فتزلزلت الارض بحوافر خيولهم وخاضت الخيل في الدماء وصبر الفريقان صبراً عظيماً ، ثم تراجع ابن عباد الى يوسف بن تاشفين وحمل معه حملة نزل معها النصر وتراجع المنهزمون من اصحاب ابن عباد حين علموا بالتحام الفئتين فصدقوا الحملة فانكشف الطاغية وفر هارباً منهزماً وقد طُعن في احدى ركبتيه طعنة بقي اثرها بقية عمره فكان يعرج منها فلجأ الى تل كان يلي محلته في نحو خمسمائة فارس كلهم مكلوم واباد القتل والاسر من عداهم من اصحابهم وعمل المسلمون بعد ذلك من رؤوسهم صوامع يؤذنون عليها والاذفونش ينظر الى موضع الوقيعة ومكان الهزيمة فلا يرى الا نكالاً محيطاً به وباصحابه، واقبل المعتمد بن عباد على يوسف بن تاشفين فصافحه وهنأه وشكره واثنى عليه وشكر ليوسف مقامه وحسن بلائه وجميل صبره وسأل عن حاله عندما اسلمته رجاله بانهزامهم عنه فقال: هم هؤلاء قد حضروا بين يديك فليخبروك ولما انحاز الطاغية بشرذمته جعل ابن عباد يحرض على اتباع الطاغية وقطع دابره فأبى ابن تاشفين واعتذر بأن قال: ان اتبعناه اليوم لقي في طريقه اصحابنا المنهزمين راجعين الينا منصرفين فيهلكهم بل نصبر بقية يومنا حتى يرجع الينا اصحابنا ويجتمعون بنا ثم نرجع اليه فنحسم داءه وابن عباد يرغب في استعجال اهلاكه ويقول: ان فر امامنا لقيه اصحابنا المنهزمون فلا يعجزون عنه ويوسف بن تاشفين مصر على الامتناع من ذلك ولما جاء الليل تسلل الاذفونش وهو لا يلوي على شيء واصحابه يتساقطون في الطريق واحداً بعد واحد من اثر جراحهم فلم يدخل طليطلة الا في دون المائة([[98]](#footnote-98)).

وفي رواية المراكشي: ان امير المسلمين يوسف بن تاشفين لما تهيأ لصلاة الجمعة وشرعوا هو واصحابه في الصلاة فلما عقدوا الركعة الاولى ثارت في وجوههم الخيل من جهة النصارى وحمل الاذفونش لعنه الله في اصحابه يظن انه قد انتهز الفرصة واذا المعتمد واصحابه من وراء الناس فاغنى ذلك اليوم غناءً لم يشهد لاحد من قبله واخذ المرابطون سلاحهم فاستووا على متون الخيل واختلط الفريقان فأظهر يوسف بن تاشفين واصحابه من الصبر وحسن البلاء والثبات ما لم يكن يحسبه المعتمد وهزم الله العدو وأتبعهم المسلمون يقاتلونهم في كل وجه ونجا الاذفونش لعنه الله في تسعة من اصحابه فكان هذا احد الفتوح المشهورة بالاندلس أعز الله فيه دينه واعلى كلمته وقطع طمع الاذفونش عن الجزيرة بعد ان كان يقدر انها في ملكه وان رؤساؤها خدم له وذلك بحسن نية امير المسلمين([[99]](#footnote-99)) .

**اختلاف المعتمد وابن تاشفين**

وتكلم الناس في اختلاف المعتمد بن عباد وامير المسلمين يوسف بن تاشفين فقالت شيع ابن عباد: لم يخف على يوسف بن تاشفين ان ابن عباد اصاب وجه الرأي في معالجته لكن خاف ان يهلك العدو الذي من اجله استدعاه فيقع في استغناء عنه، وقالت شيع ابن تاشفين: انما اراد ابن عباد قطع حبال يوسف من العود الى جزيرة الاندلس وقال اخرون: كلا الرجلين اسر حسواً في ارتغاء، وان كان ابن عبـاد احرى بالصواب([[100]](#footnote-100)) .

ومن خلال هذه الرواية نرى ان اللحاق بالاذفونش وجيشه وتتبعه والقضاء عليه قضاءً مبرماً اختلف فيه القائدان يوسف بن تاشفين والمعتمد بن عباد ولكل واحد منهما رأي في ذلك، ونرى ان امير المسلمين استدعيَ الى الاندلس من اجل مهمة محددة وهي رد خطر الاذفونش عن المسلمين وقد فعل ذلك بنجاح، لكن المعتمد بن عباد كان يرى ان النصارى وملكهم الاذفونش يشكلون خطراً على المسلمين في الاندلس لذا لا بد من القضاء عليه قضاءً تاماً فنظرة المعتمد الى المستقبل كانت ابعد مدى واحرى بالصواب واصلح للمسلمين، واثبتت السنون صحة رأيه حيث نرى ان النصارى الافرنج احتلوا جميع بلاد الاندلس وطردوا العرب المسلمين منها ومع ذلك نستطيع ان نقول ان موقعة الزلاقة اجلت احتلال الاندلس اربعة قرون ولا حول ولا قوة الا بالله.

وكانت موقعة الزلاقة الغزوة التي اظهر الله فيها دين الاسلام ونصر حزبه ونفس عنه كربه ولم يكن في الاندلس غزوة اعظم منها، قُتل فيها من النصارى نحو ثلاثمائـة الف([[101]](#footnote-101))، وهذا العام يؤرخ به في بلاد الاندلس كلها فيقال عام الزلاقة([[102]](#footnote-102)).

وعنصر المبالغة واضح جداً في رواية صاحب الحلل الموشية لأن المؤرخين الذين تناولوا هذه الموقعة ذكروا ان عدد جيش الاذفونش بلغ ثمانين الف مقاتل وهو رقم مبالغ فيه ايضاً ولو سلمنا جدلاً بصحة هذا الرقم فكيف يكون عدد القتلى من جيش الاذفونش ثلاثمائة الف مقاتل .

ولا يستطيع احد تقدير العدد الاجمالي لكلا الجيشين لانعدام الاسس العلمية التي يمكن ان يعتمد عليها المؤرخ في ذلك، ولكن المهم في هذه الجزئية ان المؤرخين اجمعوا ان عدد جيش النصارى كان اكثر من عدد جيش المسلمين بكثير.

والمبالغة في تقدير اعداد الجيوش لا يقتصر على هذه المعركة فحسب وانما في جميع المعارك التاريخية السالفة، والعرب بصورة عامة ميالين الى المبالغة في كل شيء لذلك نرى المؤرخين العرب يذكرون ارقاماً ليست واقعية ولا يمكن التسليم بها، ولكننا نستطيع ومن خلال دراسة التاريخ دراسة متأنية ان نحدد ان الجيش كذا كان اكثر من جيش كذا بمرة أو مرتين ونخرج من هذه الاشكالية التي تسبب لنا الاحراج .

**رؤوس القتلى الافرنج**

قال الفقيه ابو يحيى بن اليسع: ذكر لي جماعة ممن حضروا موقعة الزلاقة أنه وجد فيها أقوام من الإفرنج عليهم دروع محصنة قطعت السيوف أوساطها مع الجثث، واخبر الفقيه أبو مروان العذري وكان ممن شهد تلك الموقعة وممن له ملابسة بتلك الامور قال: وانتدب المسلمون في موضع المعركة الى قطع رؤوس النصارى فجمع منهم اعداد وكدس منها اكداس كالصوامع المنيفة ونظروا اطول قناة كانت في المحلة فنصبت ورست الرؤوس من حواليها فغطتها ويذكر ان عدد الرؤوس اربعة وعشرين الف رأس([[103]](#footnote-103)).

وفي الرواية المتقدمة يؤكد صاحب الحلل الموشية صحة ما ذهبنا اليه من ان الارقام المذكورة مبالغ فيها، وهو نفسه قال قبل اسطر قليلة ان قتلى الافرنج بلغت ثلاثمائة الف قتيل والان يؤكد انها بلغت اربعة وعشرين الف ، واي قارئ يتلمس من ذلك البون الشاسع في الرقمين المذكورين.

**كتاب المعتمد بن عباد**

ولما فرغ الناس من هذا الفتح المبين تناول المعتمد بن عباد اضبارة كاغد على عرض الاصبع وكتب فيها سطرين الى ابنه الرشيد:"الى ابني الرشيد وفقه الله، اعلم انه التقت جموع المسلمين بالطاغية اذفنش اللعين ففتح الله للمسلمين وهزم على ايديهم المشركين والحمد لله رب العالمين فاعلم بذلك من قبلك من اخواننا المسلمين، والسلام" ، وكان ذلك عند الزوال من يوم الجمعة وعلق الاضبارة في جناح حمام كان قد احتمله معه لهذا الحال، فكان الناس باشبيلية اقنط ما كان في ذلك اليوم فوصل الحمام من يومه وقرأت على الناس بمسجد اشبيلية فعم السرور وكثر الدعاء ثم بعد ذلك وردت الكتب تشرح مجمل هذا الفتح الجليل وكتب المعتمد بن عباد والمتوكل بن الافطس والمظفر عبد الله بن بلقين وكل من شاهد الحرب من الملوك كتبهم الى الافاق مبشرين بما شفى الله به الصدور واذهب غيظ القلوب وبما افاء الله عليهم من انفالهم([[104]](#footnote-104)).

وكان مما كتب به المعتمد بن عباد الى اشبيلية وسائر عماله من انشاء الكاتب أبي محمد عبد الله النميري ومن فصوله ما نصه: "لما كان يوم الجمعة الثاني عشر لرجب سنة تسع وسبعين واربعمائة، سنى الله امراً يسر اسبابه وفتح لنا الى الفرج والفتوح بابه وعطف علينا القابل للتوب الغافر للذنب والتقينا مع الطاغية الباغية الذي اجاب الموت داعيه واخزى التوفيق مساعيه بعد غدر ابداه وجرى فيه مداه، وكان تواعدنا معه لتلتقي في سواه فأتى والنقض يجرر ذيل مداه والعيب يشهد بما ارداه... ولما تسامت الرؤوس واحدق الرئيس بالمرؤوس ظللنا نرتب الجماجم وكأنها من اعجب احلام نائم ولما صعد المؤذنون اكواماً بنتها الايد من هاماتهم ... وقد كان في اول اللقاء جولة على المسلمين قضى الله بالشهادة فيها لمن اهتم بامانيها ثم انزل سكينته فخضبت نصال المسلمين رقاب الكافرين فانكحتها ابكاراً"([[105]](#footnote-105)) .

**كتاب ابن عباد الى ابنه**

كتب المعتمد بن عباد الى ابنه باشبيلية : كتابي هذا من المحلة يوم الجمعة الموفي عشرين من رجب وقد اعز الله الدين ونصر المسلمين وفتح لهم الفتح المبين واذاق المشركين العذاب الاليم والخطب الجسيم فالحمد لله على ما يسره وسناه من هذه المسرة العظيمة والنعمة الجسيمة في تشتيت شمل الاذفونش والاحتواء على جميع عساكره اصلاه الله نكال الجحيم ولا اعدمه الوبال العظيم المليم بعد اتيان النهب على محلاته واستئصال القتل في جميع ابطاله وحماته حتى اتخذ المسلمون من هاماتهم صوامع يؤذنون عليها فلله الحمد على جميل صنعه ولم يصبني والحمد لله الا جراحات يسيرة المت لكنها فرجت بعد ذلك فلله الحمد والمنة والسلام"([[106]](#footnote-106))**.**

**الغنائم**

وحكي ان موضع المعترك كان على اتساعه ما كان فيه موضع قدم الا على ميت أو دم واقامت العساكر بالموضع اربعة ايام حتى جمعت الغنائم واستؤذن في ذلك السلطان يوسف ابن تاشفين فعف عنها وآثر بها ملوك الاندلس وعرفهم ان مقصده الجهاد والاجر العظيم وما عند الله في ذلك من الثواب المقيم فلما رأت ملوك الاندلس ايثار يوسف لهم بالغنائم استكرموه واحبوه وشكروا له ذلك([[107]](#footnote-107)).

ولما قضى الله بهذا الفتح الجليل والصنع الجميل اقام المسلمون في جمع اسلابهم وضم عددهم مدة ايام فامتلأت ايديهم بالغنائم الوافرة والسبي الكثير واكتسب الناس فيها من الات الحروب والأموال وسيوف الحلى ومناطق الذهب والفضة ما غناهم ، وكان يوماً لم يسمع بمثله من يوم اليرموك والقادسية فيا له من فتح ما كان اعظمه ويوم كبير ما كان اكرمه فيوم الزلاقة ثبت قدم الدين بعد زلاقها وعادت ظلمة الحق الى اشراقها نفست مخنق الجزيرة بعض التنفس واعتز بها رؤساء الاندلس فجزى الله امير المسلمين وناصر الدين ابا يعقوب يوسف بن تاشفين افضل الجزاء بما بل من ارماق ونفس من خناق وصل لنصر هذه الجزيرة من حبل وتجشم الى تلبية دعائها واستباق ذمائها من حزن وسهل حتى هزم على يده اعداء الله المشركون وظهر امر الله وهم كارهون([[108]](#footnote-108)) **.**

**نهاية الاذفونش**

ولما بلغ الاذفونش الى بلاده وسأل عن ابطاله وشجعانه واصحابهم ففقدهم ولم يسمع الا نواح الثكلى عليهم اهتم ولم يأكل ولم يشرب حتى هلك هماً وغماً وراح الى امه الهاوية ولم يخلف الا بنتاً واحدة وجعل الامر اليها فتحصنت بطليطلة([[109]](#footnote-109)) **.**

**نتائج الموقعة**

قُتل في هذه الموقعة ملوك الشرك وانصاره وحماته وشجعانه ولم ينج من جميعهم الا الاذفونش اللعين مثقلاً بالجراح في شرذمة قليلة نحو الخمسمائة فارس مثخنين بالجراح فمات منهم اربعمائة فارس ودخل طليطلة في مائة فارس من حماته ورجاله وكانت هذه الغزوة المباركة يوم الجمعة الحادي عشر من رجب الفرد عام تسعة وسبعين واربعمائة الموافق الثالث والعشرين من اكتوبر سننة ست وثمانين والف، واستشهد فيها من المسلمين نحو الثلاثة الاف رجل ممن سبقت لهم من الله الحسنى وختم بالشهادة ، وقد استشهد في هذه الموقعة جماعة من اعيان الناس كالفقيه العابد ابن رميلة الذي مر ذكره سابقاً، وقاضي مراكش أبي مروان عبد الملك المصمودي وغيرهما([[110]](#footnote-110)).

وامر امير المسلمين برؤوس القتلى من الروم ان تقطع فقطعت وجمعت بين يديه امثال الجبال فبعث منها الى اشبيلية عشرة الاف رأس والى قرطبة عشرة الاف والى بلنسية كذلك والى سرقسطة ومرسية مثلها وبعث الى بلاد العدوة باربعين الف رأس فقسمت على مدن العدوة ليراها الناس فيشكرون الله تعالى على ما منحهم من النصر والخير وكان عدد الروم فيما نقل مائة وثمانين الف فارس ومائتي الف رجل فقتلوا اجمعين ولم ينج منهم الا الاذفونش في مائة فارس وفيها اذل الله الشرك ببلاد الاندلس فلم تقم لهم قائمة نحو الشتين سنة([[111]](#footnote-111)) **.**

ولم يرجع من الافرنج الى بلادهم غير ثلاثمائة فارس وغنم المسلمون كل ما لهم من مال وسلاح ودواب وغير ذلك وعاد ابن عباد الى اشبيلية ورجع امير المسلمين الى الجزيرة الخضراء وعبر الى سبتة الى مراكش فاقام بها الى العام المقبل([[112]](#footnote-112)).

**كتاب امير المسلمين الى بلاد العدوة**

في هذا اليوم تسمى القائد يوسف بن تاشفين بأمير المسلمين ولم يكن يدعى بها قبل ذلك وأظهر الله تعالى الاسلام وأعز اهله وكتب امير المسلمين بالفتح الى بلاد العدوة والى تميم صاحب المهدية([[113]](#footnote-113))فعمت االفرحة في جميع بلاد افريقية وبلاد المغرب والاندلس واجتمعت كلمة الاسلام وأخرج الناس الصدقات واعتقوا الرقاب شكراً لله تعالى على صنعه الجميل وفضله ومن فصول الكتاب الذي كتب به امير المسلمين يوسف بن تاشفين الى بلاد العدوة: "اما بعد حمد الله تعالى المتكفل بنصر اهل دينه الذي ارتضاه والصلاة والسلام على سيدنا محمد افضل رسله وأكرم خلقه واسراه فان العدو الطاغية لعنه الله لما قربنا من حماه وتوافقنا بازائه لقناه الدعوة وخيرناه بين الاسلام والجزية والحرب فاختار الحرب فوقع الاتفاق بيننا وبينه على الملاقاة في يوم الاثنين الرابع عشر لرجب وقال الجمعة عيد المسلمين والسبت عيد اليهود وفي عسكرنا منهم خلق كثير والاحد عيدنا نحن فتفرقنا على ذلك واضمر اللعين خلاف ما شرطناه وعلمنا انهم أهل خدع ونقض عهود فأخذنا اهبة الحرب لهم وجعلنا عليهم العيون ليرفعوا الينا احوالهم فأتتنا الانباء في سحر يوم الجمعة الحادي عشر من رجب المذكور بان العدو قد قصد بجيوشه نحو المسلمين يرى انه قد اغتنم فرصته في ذلك الحين فانتدبت اليه ابطال المسلمين وفرسان المجاهدين فتعشته قبل ان يتعشاها وتغذته قبل ان يتغذاها وانقضت جيوش المسلمين على جيوشهم انقضاض العقاب على عقيرته ووثبت عليهم وثوب الاسد على فريسته وقصدنا برايتنا السعيدة المنصورة في سائر المشاهد المشهودة في جيوش لمتونة نحو الفنش(الاذفونش) فلما ابصر النصارى رايتنا المشتهرة ونظروا الى مراكبنا المنتظمة المظفرة وغشيتهم بروق الصباح واظلتهم سحائب الرماح وزلزلت حوافر خيولهم رعود الطبول بذلك الفياح التحم النصارى بطاغيتهم الفنش وحملوا على المسلمين حملة منكرة فتلقاهم المرابطون بنية صادقة خالصة وهمم عالية فعصفت ريح الحرب ووكفت ديم السيوف والرماح بالطعن والضرب وطاحت المهج واقبل سيل الدماء في هوج ونزل من سماء الله على اوليائه النصر العزيز والفرج وولى الفنش مطعوناً في احدى ركبتيه طعنة افقدته احدى سلقيه في خمسمائة فارس من مائة وثمانين الف فارس ومائتي الف راجل قادهم الى المصارع والحتف العاجل وتخلص لعنه الله الى جبل هنالك ونظر شزراً لم يجد عنها صبراً ولا يستطيع عنها دفاعاً ولا لها نصراً فأخذ يدعو بالثبور والويل ويرجو النجاة في ظلام الليل وامير المسلمين بحمد الله قد ثبت ف وسط مراكبه المظفرة تحت ظلال بنوده المنتشرة منصور الجهاد مرفوع الاعداد يشكر الله تعالى على ما منحه من نيل السؤدد وقد سرح الغارات في محلاتهم تهدم بنائها وتستلم ذخائرها واسبابها وتريه رأي العين دمارها ونهايتها والفنش ينظر اليها نظر المغشي عليه ويعض غيظاً وأسفاً على انامل كفيه وحين تمت الهزيمة وتتابع الفرار عاد روساء الاندلس المنهزمون نحو بطليوس والغار وتراجعوا حذراً من العار ولم يثبت منهم غير زعيم الرؤساء والقواد ابو القاسم معتمد بن عباد فأتى الى امير المسلمين وهو مهيض الجناح مريض عناء وجراح فهنأه بالفتح الجميل والصنع الجليل وتسلل الفنش تحت الظلام فاراً لا يهدأ ولا ينام ومات من الخمسمائة فارس الذين كانوا معه بالطريق اربعمائة فلم يدخل طليطلة الا في مائة فارس والحمد لله على ذلك كثيراً وكانت هذه النعمة العظيمة والمنة الجسيمة يوم الجمعة الحادي عشر لرجب سنة تسع وسبعين واربعمائة موفق الثالث والعشرين لشهر اكتوبر العجمي"([[114]](#footnote-114)) **.**

**نصر المسلمين**

انتصر المسلمون على اعدائهم الافرنج النصارى في هذه الموقعة والتي عرفت بموقعة الزلاقة، ورجع امير المسلمين يوسف بن تاشفين واصحابه من ذلك المشهد منصورين مفتوحاً لهم وبهم فسر بهم اهل الاندلس واظهروا التيمن بامير المسلمين والتبرك به وكثر الدعاء له في المساجد وعلى المنابر وانتشر له من الثناء بجزيرة الاندلس ما زاد طمعاً فيها وذلك ان الاندلس كانت قبله بصدد استيلاء النصارى عليها واخذهم الاتاوة من ملوكها قاطبةً فلما قهر الله العدو وهزمه على يد اميرالمسلمين اظهر الناس اعظامه ونشأ له الود في الصدور ثم انه احب ان يجول في الاندلس على طريق التفرج وهو يريد غير ذلك، فجال فيها ونال من ذلك ما احب وفي خلال ذلك كله يظهر اعظام المعتمد واجلاله ويقول مصرحاً انما نحن في ضيافة هذا الرجل وتحت امره وواقفون عنده([[115]](#footnote-115)) .

بنى المراكشي روايته المتقدمة على ان يوسف بن تاشفين كان يضمر الاستيلاء على جزيرة الاندلس ويفكر فيها فكانت دعوة المعتمد بن عباد واهل الاندلس له ليخلصهم من الاذفونش فرصة طيبة للاطلاع على معالم الجزيرة والتفكير فيها بصورة جدية وذلك بناءً على الاحداث التاريخية اللاحقة واستيلاء المرابطون عليها وما حدث بين المعتمد وابن تاشفين بعد ذلك وهو معروف في كتب التاريخ.

**وفاة ابن امير المسلمين**

لما فرغ امير المسلمين يوسف بن تاشفين من وقعة الزلاقة وانصرف اهل الاندلس الى بلادهم ورد عليه خطب اوجعه ونبأ افجعه بموت ابنه ابي بكر فتعجل ايابه وقد قضى في عدو الملة وطره([[116]](#footnote-116)).

يقول ابن ابي زرع: اتصل بامير المسلمين في ذلك اليوم وفاة ولده أبي بكر بسبب تركه مريضاً بسبتة فاغتم لذلك وانصرف راجعاً الى العدوة ولولا ذلك لم يرجع فجاز الى العدوة ودخل حضرة مراكش فاقام بها([[117]](#footnote-117)).

وفي رواية اخرى: لما فرغ امير المسلمين يوسف بن تاشفين من موقعة يوم الجمعة تواردت عليه انباء من قبل السفن فلم يجد معها بداً من سرعة الكرة فانصرف الى اشبيلية فاراح بظاهرها ثلاثة ايام ونهض نحو بلاده ، ومشى المعتمد بن عباد معه يوماً وليلة فعزم عليه يوسف بن تاشفين في الرجوع وكانت جراحاته تثعب وتورم رأسه فرجع وأمر ابنه بالمسير بين يديه الى فرضة المجاز حتى يعبر البحر الى بلاده، ولما دخل ابن عباد اشبيلية جلس للناس وهُنئ بالفتح وقرأت القراء وقامت على رأسه الشعراء فانشدوه، قال عبد الجليل ابن وهبون: حضرت ذلك اليوم واعددت قصيدة انشدها اياها فقرأ القارئ ((الا تنصروه فقد نصره الله)) ([[118]](#footnote-118)) فقلت بعداً لي ولشعري والله ما أبقت لي هذه الآية معنى احضـره واقوم به([[119]](#footnote-119)) **.**

**مجد المعتمد**

وطار ذكر المعتمد بن عباد في هذه الموقعة وشهر مجده ومالت اليه القلوب وسالمته ملوك الطوائف وخاطبوه جميعاً بالتهنئة ولم يزل ملحوظاً معظماً الى ان كان من امره مع يوسف ابن تاشفين ما كان([[120]](#footnote-120)).

**اقوال الشعراء في موقعة الزلاقة**

وفي ذلك قال ابن اللبانة:

يوم العروبة كان ذاك الموقف وانا شهدت فأين من يستوصف

وقال ابن جهور:

لو تعلم الروم اذ جاءت مصممة يوم العروبة ان اليوم للعرب

ولم يكن لرؤساء الاندلس الذين شهدوا الزلاقة في هذا اليوم أمر يشكر فيقيد عنهم ويؤثر الا ابن عباد وطائفة من جيشه فانه ثبت وابلى بلاء حسناً وجرح ست جراحات([[121]](#footnote-121)).

1. () ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص/120. [↑](#footnote-ref-1)
2. () ابن الاثير ، الكامل في التاريخ، 8/330. [↑](#footnote-ref-2)
3. () الناصري السلاوي، الاستقصا، 2/4-5. [↑](#footnote-ref-3)
4. () ابو عبيد البكري، المسالك والممالك، ص/170 . [↑](#footnote-ref-4)
5. () ابو عمران الفاسي: ابو عمران موسى بن عيسى بن ابي حاج البربري الزناتي الفاسي المالكي عالم القيروان تفقه بأبي الحسن القابسي وهو اكبر تلامذته، قال المحدث حاتم بن محمد : كان ابو عمران من اعلم الناس واحفظهم جمع الفقه الى الحديث ومعرفة معانيه لم القَ احداً أوسع علماً منه ولا اكثر رواية ، توفي في ثالث عشر رمضان سنة ثلاثين واربعمائة. الذهبي، سير اعلام النبلاء، 17/144؛ ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص/118. [↑](#footnote-ref-5)
6. () عبد الله بن ياسين: الجزولي المصمودي الزعيم الاول للمرابطين وجامع شملهم وصاحب الدعوة الاصلاحية فيهم كان من طلبة العلم في دار انشئت بالسوس وسميت (دار المرابطين) وقع عليه الاختيار من قبل ابو عمران الفاسي ليذهب مع يحيى بن ابراهيم الكدالي الصنهاجي الى صنهاجة لثقيفها وتعليمها امور دينها قال صاحب الاغتباط: دوخ المغرب الى ان صار يدين بتعاليم الاسلام بعد ان كاد يتقلص منه، قال صاحب الانيس المطرب: قتل في سنة 451هـ الفقيه ابو محمد عبد الله بن ياسين الجزولي مهدي لمتونة.ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص/119. الزركلي، الاعلام، 4/144. [↑](#footnote-ref-6)
7. () روض القرطاس، ص/123؛ الناصري السلاوي، الاستقصا، 2/5-7 ؛ محمد عبد الله عنان، دولة الاسلام في الاندلس، 2/300-301. [↑](#footnote-ref-7)
8. () روض القرطاس، ص/125؛ الناصري السلاوي، الاستقصا، 2/7-9؛ عنان، دولة الاسلام في الاندلس، 2/302. [↑](#footnote-ref-8)
9. () ابو بكر بن عمر اللمتوني: من رؤساء دولة المرابطين في المغرب استولى على سجلماسة وملك السوس باسره ثم امتلك بلاد المصامدة وفتح بلاد اغمات وغيرها وقاتل البجلية(من شيعة عبيد الله المهدي) وقبائل برغواطة وفي كل هذا كان الى جانب سيد المرابطين عبد الله بن ياسين ولما اصيب ابن ياسين بجراح في حربه مع برغواطة سنة 451هـ فخطب في اشياخ صنهاجة وقال: اني ذاهب عنكم فانظروا ممن ترضونه لامركم فاتفق الرأي على ابي بكر اللمتوني ، وبلغه سنة 452هـ وقوع فتن في الصحراء بين قبائل قومه فانصرف لاصلاح شأنهم وخلف ابن عمه يوسف بن تاشفين ولما عاد الى المغرب وجد يوسف قد خضعت له البلاد وضخم امره فاوصاه بالناس خيراً وقفل الى الصحراء فقتل شهيداً في حرب السودان. الزركلي، الاعلام، 2/68. [↑](#footnote-ref-9)
10. () يوسف بن تاشفين:امير المسلمين السلطان يوسف بن تاشفين اللمتوني البربري الملثم ويعرف ايضاً بامير المرابطين وهو الذي بنى مدينة مراكش وصيرها دار ملكه واول ظهور هؤلاء الملثمين مع ابي بكر بن عمر اللمتوني فاستولى على البلاد من تلمسان الى طرف الدنيا الغربي واستناب ابن تاشفين فطلع بطلاً شجاعاً شهماً عادلاً مهيباً فاختط مراكش في سنة خمس وستين واربعمائة ، وكان ابن تاشفين كثير العفو مقرباً للعلماء وكان اسمر نحيفاً خفيف اللحية دقيق الصواب بائساً حازماً تملك بضعاً وثلاثين سنة وهو وجيشه ملازمون اللثام الضيق وفيهم شجاعة وعتو وعسف كثر جيوشه وخافته الملوك وكان بربرياً قحاً ، ولما ثارت الافرنج في الاندلس عبر ينجد الاسلام فطحن العدو ثم اعجبته الاندلس فاستولى عليها واخذ ابن عباد وسجنه واساء العشرة، مات في اول سنة خمسمائة وله بضع وثمانون سنة. الذهبي ، سير اعلام النبلاء، 19/253. [↑](#footnote-ref-10)
11. () الناصري السلاوي، الاستقصا، 2/12. [↑](#footnote-ref-11)
12. () دولة الاسلام في الاندلس، 2/308. [↑](#footnote-ref-12)
13. () ابن ابي زرع، روض القرطاس ، ص/134؛ الحلل الموشية، ص/13-14؛الناصري السلاوي، الاستقصا، 2/19-20. [↑](#footnote-ref-13)
14. () ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص/135؛ الناصري السلاوي ، الاستقصا، 2/21-22؛ الحلل الموشية، ص/13-14؛ عنان، دولة الاسلام في الاندلس، 2/312 . [↑](#footnote-ref-14)
15. () الناصري السلاوي، الاستقصا، 2/33؛ المقري ، نفح الطيب، 4/354-355. [↑](#footnote-ref-15)
16. () درق اللمط: وهي من اكثر اسلحة بلاد المغرب شهرةً حيث كانت من عوامل قوة جيوش المرابطين والموحدين ، والدرق ضرب من الترسة ، الواحدة درقة وهي الجحفة تتخذ من الجلود ليس فيها خشب ولا عقب وجمعها درق وادراق ودراق وتكون في الغالب بيضاوية الشكل، ولمطة اسم قبيلة من قبائل صنهاجة الجنوب، لكن هذا الاسم يطلق على القبيلة وعلى الارض التي تسكنها وارتبطت الدرق اللمطيةعند بعض الجغرافيين بمدينة نول لمطة ، واللمطة نسبة الى حيوان اللمط الذي يعيش في بلاد المغرب ويعتبره كل من ابن خلدون وابن ابي زرع من وحوش الصحراء ووصفه البكري بانه دابة دون البقر لها قرون دقاق حادة لذكرانها واناثها ، وذكر الحموي انها من جنس الظباء الا انه اعظم خلقاً ابيض اللون ، وقيل انه صابر على العطش وهو على شبه الغزال لكنه اغلظ منه، وقيل كذلك ان حيوان اللمط هو المها . الاستاذ موسى هواري، استاذ التاريخ الاسلامي بمعهد التاريخ بجامعة الجزائر بوزريعة، دراسة علمية بعنوان(الدرقة اللمطية). [↑](#footnote-ref-16)
17. () الناصري السلاوي، الاستقصا، 2/33-34؛ المقري ، نفح الطيب، 4/355-356. [↑](#footnote-ref-17)
18. () طليطلة : بضم الطائين وفتح اللامين واكثر ما سمعناه من المغاربة بضم الاولى وفتح الثانية بالاندلس بينها وبين البرج المعروف بوادي الحجارة خمسة وستون ميلاً وهي مركز لجميع بلاد الاندلس لأن منها الى قرطبة تسع مراحل ومنها الى بلنسية تسع مراحل ايضاً ومنها الى المرية في البحر الشامي تسع مراحل ايضاً ، وطليطلة عظيمة القطر كثيرة البشر وهي كانت دار الملك بالاندلس حين دخلها القائد طارق بن زياد وهي حصينة لها اسوار حسنة وقصبة حصينة وهي ازلية من بناء العمالقة وقلما يرى مثلها اتقاناً وشماخة بنيان وكانت طليطلة دار مملكة الروم، وبعد ان فتحها المسلمون استمرت في ايديهم حتى تغلب عليها الافرنج في سنة سبع وسبعين واربعمائة وكان الذي سلمها اليهم يحيى بن يحيى بن ذي النون الملقب بالقادر بالله وكانت تسمى مدينة الاملاك ملكها اثنان وسبعون لساناً فيما قبل. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/1169؛ الحميري، الروض المعطار، ص371. [↑](#footnote-ref-18)
19. () لملك الافرنج عدة تسميات في كتب الوؤرخين فمنهم من يطلق عليه الاذفونش ومنهم الفونسو السادس، واذفنش وابن فرذلند وغيرها ورأيت ان اتزم باسم واحد منعاً لللبس . [↑](#footnote-ref-19)
20. () ابن الاثير ، الكامل في التاريخ، 8/439. [↑](#footnote-ref-20)
21. () ابن خلكان، وفيات الاعيان، 5/27. [↑](#footnote-ref-21)
22. () المعتمد بن عباد: صاحب الاندلس المعتمد على الله ابو القاسم محمد بن الملك المعتضد بالله عباد بن الظافر بالله، قيل هو من ذرية النعمان بن المنذر صاحب الحيرة، هلك المعتضد سنة اربع وستين واربعمائة وخلف المعتمد فكان فارساً شجاعاً عالماً اديباً ذكياً شاعراً محسناً جوادا ًممدحاً كبير الشأن خيرأ من ابيه ، كان اندى الملوك راحة وارحبهم ساحة كان بابه محط الرجال وكعبة الامال ، قال ابو بكر محمد بن اللبانة: ملك المعتمد من مسورات البلاد مائتي مسور وولد له مائة وثلاثة وسبعون ولداً وكان لمطبخه في اليوم ثمانية قناطير لحم وكتابه ثمانية عشر، مولده كان في سنة احدى وثلاثين واربعمائة ، هجم المرابطون على البلد واسروا المعتمد بن عباد ونهبوا قصوره وقتلوا ولديه ومضوا بالمعتمد وآله الى طنجة بعد ان افقروهم ثم سجن باغمات عامين وزيادة في قلة وذلة ومات في شوال سنة ثمان وثمانين واربعمائة.الذهبي، سير اعلام النبلاء، 19/58. [↑](#footnote-ref-22)
23. () قرطبة: قاعدة الاندلس وام مدائنها ومستقر خلافة الامويين بها واثارهم بها ظاهرة وفضائل قرطبة ومناقب خلفائها اشهر من ان تذكر وطولها من غربيها الى شرقيها ثلاثة اميال وعرضها من باب القنطرة الى باب اليهود ميل واحد وهي في سفح جبل مطل عليها يسمى جبل العروس ومدينتها الوسطى هي التي في باب القنطرة ، وقرطبة على نهر عظيم عليه قنطرة عظيمة وبأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز قام على نهر قرطبة الجسر الاعظم الذي لا يعرف في الدنيا مثله.الحميري، الروض المعطار، ص/425-426. [↑](#footnote-ref-23)
24. () اشبيلية: مدينة عظيمة وليس بالاندلس اليوم اعظم منها تسمى حمص ايضاً وبها قاعدة ملك الاندلس وبها كان بنو العباد ، وبينها وبين قرطبة مسير ثمانية ايام ومن الاميال ثمانون وهي مدينة قديمة ازلية واصل تسميتها اشبالي اي المدينة المنبسطة ، ويقال ان اشبانية اسم خاص ببلد اشبيلية الذي كان ينزله اشبان بن طيطش وباسمه سميت الاندلس اشبانية، في لاسنة ست واربعين وستمائة تغلب عليه الافرنج بعد ان حوصرت اشهراً حتى ساءت احوال اهلها.ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/130؛ الحميري، الروض المعطار، ص/59-60. [↑](#footnote-ref-24)
25. () ابن الاثير ، الكامل، 8/439 ، المقري، نفح الطيب، 4/356-357؛ الناصري السلاوي، الاستقصا، 2/34. [↑](#footnote-ref-25)
26. () ابن صمادح: السلطان ابو يحيى التجيبي الاندلسي محمد بن معن بن احمد بن صمادح، كان حليماً جواداً ممدحاً وقد داخل ابن تاشفين ونصره ثم ان ابن تاشفين عزم على اخذ البلاد من ابن صمادح وكان يملك المرية وبجانة والصمادحية فأظهر العصيان لابن تاشفين وكان فيه خير ودين وعدل وتواضع وعقل تام، روى عن ابيه عن جده كتابه: ((المختصر في غريب القرآن))، نازلته عساكر ابن تاشفين مدة فتمرض فسمع مرة هيعة فقال لا اله الا الله نغص علينا كل شيئ حتى الموت، قالت جاريته فدمعت عيناي فقال بصوت ضعيف ((ترفق بدمعك لا تفنه فبين يديك بكاء طويل)) مات في ربيع الاول سنة اربع وثمانين واربعمائة. الذهبي ، سير اعلام النبلاء، 18/592-594. [↑](#footnote-ref-26)
27. () راجع الدرق اللمطية ص/ من بحثنا. [↑](#footnote-ref-27)
28. () الروض المعطار، ص/278 ، الناصري السلاوي، الاستقصا، 2/34-35؛ المقري، نفح الطيب، 4/358-359. [↑](#footnote-ref-28)
29. () ابن خلكان ، وفيات الاعيان، 5/ 28؛ الناصري السلاوي، 2/36-37. [↑](#footnote-ref-29)
30. () الكامل، 8/445\_446 ، المقري ، نفح الطيب، 4/360 . [↑](#footnote-ref-30)
31. () سورة الحشر، آية/14. [↑](#footnote-ref-31)
32. () سورة التوبة، جزء من الآية/32؛ سورة الصف، جزء من الآية/8. [↑](#footnote-ref-32)
33. () الحلل الموشية، ص/39-41. [↑](#footnote-ref-33)
34. () ابن زيدون: 394-463هـ احمد بن عبد الله بن غالب بن زيدون المخزومي الاندلسي ابو الوليد، وزير وكاتب وشاعرمن اهل قرطبة انقطع الى ابن جهور من ملوك الطوائف فكان السفير بينه وبين الاندلس فاعجبوا به واتهمه ابن جهور بالميل الى المعتضد بن عباد فحبسه فاستعطفه ابن زيدون برسائل عجيبة فلم يعطف فهرب واتصل بالمعتضد صاحب اشبيلية فولاه وزارته وفوض اليه امر مملكته فأقام مبجلاً مقرباً الى ان توفي باشبيلية في ايام المعتمد على الله وفي الكتاب من يلقب ابن زيدون ب(بحتري المغرب) وهو صاحب ( أضحى التنائي بديلاً من تدانينا). الزركلي، الاعلام، 1/158. [↑](#footnote-ref-34)
35. () المشحر : الذهب الخالص. [↑](#footnote-ref-35)
36. () الحلل الموشية، ص/41-42. [↑](#footnote-ref-36)
37. () بحر الزقاق: هو الداخل من البحر المحيط الذي عليه سبتة الذي يضيق من المشرق الى المغرب حتى يكون عرضه ثلاثة اميال وهو بساحل الاندلس الغربي بمكان يقال له الخضراء ما بين طنجة من ارض المغرب وبين الاندلس ثم يتسع الزقاق كلما امتد حتى يصير الى ما لا ذراع له ولا نهاية وهو مخرج بحر الروم المتصاعد الى الشام، وفي بعض الاخبار انه قبل افتتاح المسلمين البلاد المصرية بمائة سنة طمى ماء البحر وزاد فأغرق القنطرة التي كانت بين بلاد الاندلس وبين ساحل طنجة من ارض المغرب وكانت قنطرة عظيمة لا يعلم لها في معمور الارض نظير يقال انها من بناء ذي القرنين مبنية بالحجارة تمر عليها الابل والدواب من ساحل المغرب الى الاندلس وكان طولها اثني عشر ميلاً في عرض واسع وسمو كثير وربما رأى هذه القنطرة اهل المراكب تحت الماء فعرفوها .الحميري، الروض المعطار ، ص/285. [↑](#footnote-ref-37)
38. () الحلل الموشية، ص/42-43. [↑](#footnote-ref-38)
39. () الحلل الموشية، ص/45-46. [↑](#footnote-ref-39)
40. () ترجم الذهبي له فقال: (( العلامة الحافظ الفقيه الخطيب الافوه أبو بكر محمد بن عبدالله بن الجد الفهري ثم الاشبيلي المالكي، فقيه الاندلس وحافظها وزعيمها، ولد سنة ست وتسعين واربعمائة وتوفي في سنة ست وثمانين وخمسمائة، سير اعلام النبلاء، 21/178، وبذلك يكون ابن الجد قد ولد بعد موقعة الزلاقة بسبعة عشر سنة وبذلك يكون الوزير الكاتب المعني في الرواية هو والد المترجم له والله اعلم. [↑](#footnote-ref-40)
41. () سورة الفتح، جزء من اية /16. [↑](#footnote-ref-41)
42. () سورة التوبة، اية/14. [↑](#footnote-ref-42)
43. () الحلل الموشية، ص/47-48. [↑](#footnote-ref-43)
44. () الحميري، روض المعطار، ص/279 ، الناصري السلاوي، الاستقصا، 2/35؛ المقري، نفح الطيب، 4/359. [↑](#footnote-ref-44)
45. () المتوكل بن الافطس: كان المتوكل عالي القدر مشهوراً بالفضل مثلاً في الجلالة والسرورمن اهل الرأي والحزم والبلاغة ملك بطليوس بعد اخيه المنصور في سنة 461هـ/1068م ولم تكن شهرته سياسة او دهاء وانما كان اديب وشاعر وبليغ فكان المتوكل بن الافطس في حضرة بطليوس كالمعتمد بن عباد في حضرة اشبيلية ، دخل طليطلة بعد هروب حاكمها القادر بالله يحيى بن ذي النون في سنة 472هـ اثر ثورة عليه وظل حاكماً على طليطلة حتى عاد القادر بالله مستعيناً بالنصارى.ابن الابار، الحلة السيراء،2/96؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام،ص/185. [↑](#footnote-ref-45)
46. () بطليوس: بفتحتين وسكون اللام وياء مضمومة ومهملة مدينة كبيرة بالاندلس من اقليم ماردة بينهما اربعون ميلاً وهي على نهر انة غربي قرطبة ، وهي مدينة بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليتي باذن الامير عبد الله ، وبنى سورها بالتراب ثم بني بالكلس والجندل وبُني في سنة احدى وعشرين واربعمائة ، وهي مدينة جليلة في بسيط من الارض وهي على ضفة نهرها الكبير المسمى الغؤور لانه يكون في موضع يحمل السفن ثم يغور تحت الارض حتى لا توجد منه قطرة فسمي الغؤور لذلك وينتهي جريه الى حصن مارتلة ويصب قريباً من جزيرة شلطيش ومن بطليوس الى اشبيلية ستة ايام ومنها الى قرطبة ست مراحل. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/323؛ الحميري، الروض المعطار، ص/96. [↑](#footnote-ref-46)
47. () الحميري، روض المعطار، ص/279 ، الناصري السلاوي، الاستقصا، 2/36؛ المقري، نفح الطيب، 4/359. [↑](#footnote-ref-47)
48. () المراكشي ، المعجب، ص/91 . [↑](#footnote-ref-48)
49. () الجزيرة الخضراء: وهي بالاندلس ويقال لها جزيرة ام حكيم وهي جارية القائد طارق بن زياد كان حملها معه فتخلفها بهذه الجزيرة فنسبت اليها وعلى مرسى ام حكيم مدينة الجزيرة الخضراء وبينها وبين قلشانة اربعة وستون ميلاً وهي على ربوة مشرفة على البحر سورها متصل به، وهي مدينة من اشرف المدن واطيبها ارضاً وسورها يضرب به ماء البحر ولا يحيط بها البحر كما تكون الجزائر لكنها متصلة ببر الاندلس لا حائل من الماء دونها، وهي منيعة حصينة سورها حجارة ، ومدينة الجزيرة طيبة رقيقة باهلها جامعة لفائدة البر والبحر قريبة المنافع من كل وجه لانها وسطى مدن الساحل واقرب مدن الاندلس مجازاً الى العدوة ومنها تغلب ملوك الاندلس على ما تغلبوا عليه من بلاد افريقية والجزيرة الخضراء اول مدينة افتتحت في الاندلس في صدر الاسلام سنة تسعين للهجرة على يد القائد موسى بن نصير وطارق بن زياد. .ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/494؛ الحميري، الروض المعطار، ص/222. [↑](#footnote-ref-49)
50. () الحلل الموشية ، ص/ 50 [↑](#footnote-ref-50)
51. () سبتة: بلفظ الفعلة الواحدة من الاسبات وهو التزام اليهود بفريضة السبت وهي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها اجود مرسى على البحر وهي على بر البربر تقابل جزيرة الاندلس على طرف الزقاق، مدينة عظيمة على الخليج الرومي المعروف بالزقاق (مضيق جبل طارق) وهو اول البحر الشامي المنتهي الى مدينة صور من ارض الشام وهي تقابل الجزيرة الخضراء وليس لها الى البر غير طريق واحدة من ناحية الغرب لو شاء اهلها ان يقطعوه قطعوه ، وفي اخر المدينة جبل كبير يسمى جبل المينا وقد كان عبد الملك بن ابي عامر أمر ان تبنى بهذا الجبل مدينة ينقل اليها اهل سبتة فبنى سورها ومات ولم يتم له المراد والسور باق الى الان وهو يظهر من بر الاندلس لبياضه ، والبحر يحيط بسبتة من جميع جهاتها الا من جهة الغرب فان البحر يكاد يلتقي ولا يبقى بينهما الا اقل من رمية قوس وتظهر سبتة عند صفاء البحر من الجزيرة الخضراء.ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/926؛ الحميري، روض القرطاس، ص/293. [↑](#footnote-ref-51)
52. () الحلل الموشية ، ص/ 51. [↑](#footnote-ref-52)
53. () الحميري ، الروض المعطار ، ص/279، نفح الطيب، 4/361. [↑](#footnote-ref-53)
54. () وفيات الاعيان، 5/29. [↑](#footnote-ref-54)
55. () الاستقصا ، 2/42 ؛ ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص/145 [↑](#footnote-ref-55)
56. () المراكشي، المعجب، ص/ 91. [↑](#footnote-ref-56)
57. () الحلل الموشية ، ص/51\_52. [↑](#footnote-ref-57)
58. () الحميري ، الروض المعطار، ص/279؛ نفح الطيب، 4/362. [↑](#footnote-ref-58)
59. () سرقسطة: في شرق الاندلس وهي قاعدة من قواعد الاندلس كبيرة القطر اهلة ممتدة الاطناب واسعة الشوارع لها سور حجارة حصين وهي على ضفة نهر كبير وهي المدينة البيضاء لكثرة جصها وجيارها وبسرقسطة جسر عظيم يجاز عليه الى المدينة ولها اسوار منيعة ومبان رفيعة واسمها مشتق من اسم قيصر وهو الذي بناها وذكر انها بنيت على مثال الصليب، وأخذ النصارى سرقسطة من ايدي المسلمين سنة اثنتين وخمسمائة بعد ان حاصروها تسعة اشهر صلحاً.الحميري، روض المعطار، ص/307-308. [↑](#footnote-ref-59)
60. () طرطوشة: مدينة بالاندلس تتصل بكورة بلنسية وهي شرقي بلنسية وقرطبة قريبة من البحر متقنة العمارة مبنية على نهر ابرة ولها ولاية واسعة وبلاد كثيرة تعد في جملتها تحلها التجار وتسافر منها الى الامصار ، استولى عليها الافرنج سنة ثلاث واربعين وخمسمائة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/30. [↑](#footnote-ref-60)
61. () بلنسية: في شرق الاندلس بينها وبين قرطبة على طريق بجانة ستة عشر يوماً وعلى الجادة ثلاثة عشر يوماً وهي مدينة سهلية وقاعدة من قواعد الاندلس في مستوى من الارض عامرة القطر كثيرة التجارات وبينها وبين البحر ثلاثة اميال وهي على نهر جار ينتفع به ويسقي المزارع وهي من امصار الاندلس الموصوفة وحواضرها المقدمة وكان الروم تغلبوا على بلنسية قديماً ثم احرقوها عند خروجهم منها سنة خمس وتسعين واربعمائة وفي ذلك يقول ابو اسحاق ابراهيم بن ابي الفتح بن خفاجة:

    عاثت بساحتك العدا يادار ومحا محاسنك البلى والنار

    فاذا تردد في جنابك ناظر طال اعتبار فيك واستعبار

    فجعلت انشد خير سادة اهلها لا انت انت ولا الديار ديار

    ثم في سنة ست وثلاثين وستمائة ملك الروم بلنسية صلحاً استولى عليها ملك ارغون جاقة.الحميري، الروض المعطار، ص/100-101. [↑](#footnote-ref-61)
62. () ابن ابي زرع، ص/145\_146 . [↑](#footnote-ref-62)
63. () ابن خلكان ، وفيات الاعيان، 5/29. [↑](#footnote-ref-63)
64. () ابن القصيرة: محمد بن سليمان الكلاعي الولبي الاندلسي ، ابو بكر المعروف بابن القصيرة : اديب من كبار الكتاب ينعت بذي الوزارتين نسبته الى ولبة من اعمال أونبة بالاندلس نشأ في دولة المعتضد واعتنى به ابو الوليد بن زيدون فقدمه عنده ثم تقدم عند المعتمد بن عباد وصيره سفيراً بينه وبين ابن تاشفين الى ان نكب المعتمد، مات سنة 508هـ/1113م. [↑](#footnote-ref-64)
65. () ابن الاثير ، الكامل في التاريخ، 8/446؛ الناصري السلاوي، الاستقصا، 2/37؛ المقري، نفح الطيب، 4/361. [↑](#footnote-ref-65)
66. () مرسية: بالاندلس وهي قاعدة تدمير بناها الامير عبد الرحمن بن الحكم ، ومرسية على نهر كبير يسقي جميعها كنيل مصر ولها جامع جليل وحمامات واسواق عامرة، اتخذت مرسية دار العمال وقرار القواد وكان الذي تولى بنيانها وخرج العهد اليه في اتخاذها جابر بن مالك بن لبيد وكان تاريخ الكتاب يوم الاحد لاربع خلون من ربيع الاول سنة ست عشرة ومائتين، ومن مرسية ابو غالب تمام بن غالب المعروف بابن التياني اللغوي المعروف صاحب"الموعب".الحميري، روض المعطار، ص/500. [↑](#footnote-ref-66)
67. () المراكشي، المعجب، ص/92. [↑](#footnote-ref-67)
68. () الحلل الموشية، ص/52. [↑](#footnote-ref-68)
69. () الارتغاء: هو شرب الرغوة هذا المثل يضرب لمن اراد ان يمكر فيظهر امراً ويريد غيره ، ويقصد بالمثل انه يريد تناول رغوة اللبن ولكن الذي يريده شرب اللبن نفسه، ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة 2/59. [↑](#footnote-ref-69)
70. () المراكشي ، المعجب، ص/ 92-93. [↑](#footnote-ref-70)
71. () الزلاقة: بفتح اوله وتشديد ثانيه ، والزلاقة الموضع الذي لا يمكن الثبوت عليه من شدة زلقه والتشديد للتكثير والزلاقة ارض بالاندلس بقرب قرطبة، وهي بطحاء الزلاقة من اقليم بطليوس من غرب الاندلس ، وكانت عندها وقعة في ايام امير المسلمين يوسف بن تاشفين مع الاذفونش ملك الافرنج بحميد سعي المعتمد بن عباد في عشرين رجب سنة تسع وسبعين واربعمائة.ياقوت الحموي ، معجم البلدان 3/899؛ الحميري، الروض المعطار، ص/237. [↑](#footnote-ref-71)
72. () سورة الرعد، جزء من آية/14. [↑](#footnote-ref-72)
73. () الحلل الموشية ، ص/52\_54. [↑](#footnote-ref-73)
74. () ابن ابي زرع،روض القرطاس، ص/147. [↑](#footnote-ref-74)
75. () المراكشي، المعجب ، ص/93 . [↑](#footnote-ref-75)
76. () الحميري، روض المعطار، ص/280؛ الناصري السلاوي، الاستقصا، 2/39؛ المقري، نفح الطيب، 4/363. [↑](#footnote-ref-76)
77. () هو العالم الفقيه المقرئ محمد بن عيسى بن فرج التجيبي المغامي الطليطلي ، وكان عالماً بالقراءات ووجوهها ضابطاً لها متقناً لمعانيها اماماً ذا فضل ودين صاحب أبي عمرو الداني كان احد الحذاق بالقراءات اخذعن الداني ، توفي باشبيلية في نصف ذي القعدة سنة خمس وثمانين واربعمائة ترجم له ابن بشكوال في الصلة رقم 1225، ومغام حصن بثغر طليطلة. [↑](#footnote-ref-77)
78. () سورة الفيل. [↑](#footnote-ref-78)
79. () سورة المدثر، آية/8،9،10. [↑](#footnote-ref-79)
80. () الحلل الموشية، ص/54\_56 . [↑](#footnote-ref-80)
81. () الحميري، الروض المعطار، ص/280؛ الناصري، السلاوي، الاستقصا، 2/39؛ المقري، نفح الطيب، 4/363. [↑](#footnote-ref-81)
82. () الكامل في التاريخ، 8/446. [↑](#footnote-ref-82)
83. () الحميري، الروض المعطار، ص/280 ؛الناصري السلاوي، الاستقصا، 2/40؛ المقري، نفح الطيب، 4/364. [↑](#footnote-ref-83)
84. () الحميري، الروض المعطار، ص/280؛الناصري السلاوي، الاستقصا، 2/41؛ المقري، نفح الطيب، 4/363-364. [↑](#footnote-ref-84)
85. () روض المعطار، ص/281؛ الاستقصا، 2/45. [↑](#footnote-ref-85)
86. () قال ابن بشكوال في الصلة: احمد بن محمد بن فرج الانصاري يعرف بابن رميلة من اهل قرطبة يكنى: ابا العباس كان معتنياً بالعلم وصحبة الشيوخ وله شعر حسن في الزهد كثير الصدقة وفعل المعروف ، وكان من اهل العلم والورع والفضل والدين استشهد بالزلاقة مقبلا غير مدبر سنة 479هـ . [↑](#footnote-ref-86)
87. () الروض المعطار، ص/ 281؛ الناصري السلاوي، الاستقصا، 2/41؛ المقري، نفح الطيب، 4/364. [↑](#footnote-ref-87)
88. () الحلل الموشية، ص/56\_58. [↑](#footnote-ref-88)
89. () عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، فقال: ثلاث مهلكات شح مطاع، وهوى متبع، واعجاب المرء بنفسه، وثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلن، والقصد في الفقر والغنى، والعدل في الغضب والرضا))، الالباني ، السلسلة الصحيحة، الرقم:1802، خلاصة حكم المحدث: حسن لشواهده. [↑](#footnote-ref-89)
90. () ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 8/447. [↑](#footnote-ref-90)
91. () المراكشي، المعجب، ص/ 92-93 . [↑](#footnote-ref-91)
92. () ابن ابي زرع، روض القرطاس،ص/147. [↑](#footnote-ref-92)
93. () الحميري، روض المعطار، ص/281؛ الناصري السلاوي، الاستقصا، 2/42؛ المقري، نفح الطيب، 4/366. [↑](#footnote-ref-93)
94. () الحلل الموشية، ص/61\_62. [↑](#footnote-ref-94)
95. () الكامل في التاريخ،8/447. [↑](#footnote-ref-95)
96. () ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص/148. [↑](#footnote-ref-96)
97. () ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص/147\_149. [↑](#footnote-ref-97)
98. () الحميري، روض المعطار، ص/282؛ الناصري، السلاوي، الاستقصثا، 2/44،المقري، نفح الطيب، 4/368. [↑](#footnote-ref-98)
99. () المعجب، ص/93 . [↑](#footnote-ref-99)
100. () روض المعطار، ص/282. [↑](#footnote-ref-100)
101. () الحلل الموشية، ص/62 [↑](#footnote-ref-101)
102. () ابن خلكان، وفيات الاعيان، 5/29. [↑](#footnote-ref-102)
103. () الحلل الموشية، ص/62\_63. [↑](#footnote-ref-103)
104. () الحلل الموشية، ص/63. [↑](#footnote-ref-104)
105. () الحلل الموشية،ص/64\_65. [↑](#footnote-ref-105)
106. () الروض المعطار ،ص/282؛ الناصري السلاوي، الاستقصا، 2/44؛ المقري، نفح الطيب، 4/369. [↑](#footnote-ref-106)
107. () المقري، نفح الطيب، 4/369. [↑](#footnote-ref-107)
108. () الحلل الموشية، ص/65-66؛ الناصري السلاوي، الاستقصا، 2/45 . [↑](#footnote-ref-108)
109. () المقري، نفح الطيب، 4/369. [↑](#footnote-ref-109)
110. () الحميري، روض المعطار، ص/282؛ المقري، نفح الطيب، 4/369. [↑](#footnote-ref-110)
111. () ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص/149. [↑](#footnote-ref-111)
112. () ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 8/447. [↑](#footnote-ref-112)
113. () المهدية: موضع في البلاد الافريقية بناها عبيد الله بن عبد الله بن سالم صاحب شرطة زياد ومن مواليه الخارج على بني الاغلب، وسالم قتله الخليفة المهدي على الزندقة ، قد سار يرتاد موضعاً يبني فيه لنفسه مدينة فجاء تونس ودخل قرطاجنة وغيرها فلم يجد موضعاً احصن من موضع المهدية فبناها وجعلها دار ملكه وكان ابتداء بنائها سنة ثلاث وثلثمائة وسماها المهدية وكان قبل ذلك يقال لها جمة وبين المهدية والقيروان ستون ميلاً والبحر قد احاط بالمهدية من جميع جهاتها الا من الجانب الغربي وفيه بابها. الحميري، الروض المعطار، ص/173. [↑](#footnote-ref-113)
114. () ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص/150-151. [↑](#footnote-ref-114)
115. () المراكشي، المعجب، ص/94-95. [↑](#footnote-ref-115)
116. () الحلل الموشية، ص/66. [↑](#footnote-ref-116)
117. () ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص/152. [↑](#footnote-ref-117)
118. () سورة التوبة، جزء من آية/40. [↑](#footnote-ref-118)
119. () الحميري، روض المعطار ،ص/282؛ المقري، نفح الطيب، 4/270. [↑](#footnote-ref-119)
120. () الحميري، روض المعطار، ص/282. [↑](#footnote-ref-120)
121. () ابن ابي زرع، الروض القرطاس، ص/151. [↑](#footnote-ref-121)